الإسلام في موكب الإصلاح

الحكم الوراثي *

للأستاذ محمد عبد الله السمان

كانت وثبة الجيش الباركة إيذانا بنهاية حكم إقطاعي جائر ، ظلت مصر السنين الطوال ترزح بسببه تحت أعباء ثقال من العنت والإرهاق والشقاء . وتتجرع كؤوسا فائضات من البؤس والأسى والعناء ، ولم تكتب وثبة الجيش الباركة نهاية ذلك الحكم الإقطاعي المنقرض إلا وهي مؤمنة بفساده ، وبضرورة هدمه من أساسه ، لتقيم على أنقاضه نظاما صحيحا يعتمد على أسس سليمة تحقق الخير للشعب والوطن على السواء

ومن الحقائق التي لا تحتاج إلى نقاش ، أن الحكم الإقطاعي المنقرض لم يشد أزره في الماضي المنصرم سوى نظام الحكم الوراثي ، الذي كان شرا كله على مصر وطنا وشعبا ، فقد كان يخيل إلى الجالس على العرش أن مصر ضيعة له ، وأن شعبها عبيد نعمته ، كما قدر له أن يظل في جبروته مطمئنا ، وفي عدوانه آمنا ، لا يرهب الشعب ولا يخشى ثورته ، لأن الشعب الذي لم يجلسه على العرش لا يقوى على خلعه عنه ، ولأن الشعب الذي اغتصبت بلاده لتكون إقطاعية يتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد ، لا يقوى على انتزاع السلطة من المفروضين على حكم بلادهم فرضا

ونظام الحكم الوراثي نظام إقطاعي محض ، نكبت به بلاد الشرق ، وفي مقدمتها مصر ، فقد ظلت الأسرة العلوية تحكمها حكما وراثيا خلال قرن ونصف قرن ، فنهبت ما نهبت من خيراتها ، وسرقت ما سرقت من أراضيها ، وحولت مجرى الثراء إلى أفرادها ، حتى بلغوا القمة من الثراء بينما هوى الشعب إلى الدرك الأسفل من الفاقة ، ولم تهب لهذا الشعب المغلوب على أمره لحظة من الحرية حتى يرى النور ، ولا ذرة من الرخاء حتى يلمس السعادة ، لأن الحرية كانت وقفا على الأمراء يجعلون منها حصنا لمجونهم وترفهم وعربدتهم ، ولأن السعادة كانت حقا مقدسا لهم وحدهم ، ينعمون بها ، ويمرحون في ظلها ، ويلتمسون بها حياة الدعة ودنيا الأرستقراطية البلهاء !

واليوم يرقب الشعب المصري ، ويرقب العالم أجمع معه باهتمام ماجريات الأمور في مصر ، وإلى أي نظام ستتجه في حكمها ، ولا يعتقد الشعب المصري ، ولا الدول المخلصة من دول العالم ، أن نظام الحكم الوراثي سينال لدى المسئولين شيئا من العطف ، وما قام الجيش الباسل بوثبته إلا ليقوض أركان الفوضى التي كانت أثرا من آثاره . لقد كان كل من سبق (فاروقا) إلى الجلوس على العرش طاغية ، وسيكون — لا قدر الله — كل من سيخلف فاروقا طاغية أيضا ، وكأن مصر لن تتفرغ إلا لمشاهدة الكفاح بين الشعب والطاغية التربع على العرش ، وهي في مسيس الحاجة إلى الاستقرار لتبلغ المكانة الجديرة بها ، وليصل شعبها إلى حيث يعيش كريما أبيا

ولا ريب في أن القضاء على نظام الحكم الوراثي ، خطوة موفقة يرحب بها الإسلام ويفسح لها صدره ، لأنه نظام قائم على أسس متراقصة من الباطل ، فهو يعتبر الملك في درجة الآلهة ، وأسرته في منزلة الأحبار والرهبان من أبناء الآلهة ، ويعتبر الملك فوق القانون ، ويخول لأسرته أن تعيث في الأرض فسادا دون أن يجرؤ القانون على مجرد سؤالها ، وهو نظام يفرض على الشعب الوارث للملك ولو كان مخبولا أو معتوها أو فاجرا أو عربيدا

ولهذا كله ينكر الإسلام أشد الإنكار على هذا النظام المختل ، لأن الإسلام أقوى وأعدل من أن يرضى لإنسان — كائنا من كان — أن يكون فوق القانون ، بل إنه يعتبر مسئولية الحاكم أشق من مسئولية العامة ، لأنه راع لابد أن يسأل عن رعيته ؛ ولا يعفيه القانون من العقاب ولا أسرته إذا فعلوا ما يستحقون عليه العقاب ، وها هو ذا كتاب الله يخاطب محمداً (ص) :

.. « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ، إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ، ثم لا تجد لك علينا نصيرا »

وها هو ذا محمد (ص) يخاطب من حوله في أحرج ساعات الموت :

« ألا من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد

وها هو ذا (ص) يخاطب أسامة حين جاءه يشفع في حد من

(*) المقال مقتبس من « كتاب الإسلام والأمن الدولي » للكاتب

20 me année No 1008 | Le Caire 27 — 10 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

العدد ١٠٠٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ صفر سنة ١٣٧٢ — ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

رسالة وجوابها

كتب إلىّ السيد محمود عبد السيد حمزة يقول :

« سلام الله عليك

قرأت لك (ثورة فيها روح النبوة) ؛ والحق أنها ثورة مباركة أنعشت لمصر من الآمال ما أذواه العهد البغيض ؛ ولكنك ياسيدى اختتمتها بثورتك على الأحزاب والنواب ومهازل الزعامة

ولما كان لرأيك قدره عندى فهل يا ترى أفهم من كلامك أنك تقر حكم الفرد وأنت الذى فتح باب رسالته على مصراعيه للرأى والشورة ؟ لا تظلم الأحزاب يا سيدى ولا النواب ، فمنهم من زكيهم الله . وإذا أخذنا عليهم بعض الأوزار فوزرهم فى عنق من وطد للفساد أركانه . إدع إلى الشورى يا سيدى ولا تيأس ؛ فقد ذهب الفساد وعهده ولم يبق إلا الإصلاح فلرأيك قيمته وقدره »

وجوابى عن رسالة السيد الفاضل ، أنى لا أومن بحكم على نظام معين . إنما أومن بأى حكم يقوم بنيانه على الشورى ، وينبسط سلطانه على العدل . وليس للشورى نظام واحد لا يجوز غيره ، ولا للعدالة منهج واحد لا يؤدى سواه . يجوز أن تصدق الشورى على لسان بطانة أو وزارة أو ندوة ، كما يجوز أن تتحقق العدالة على يد إمام أو ملك أو رئيس . إن العبرة بالمعنى لا باللفظ ، وبالروح لا بالنص ، وبالفكرة لا بالصورة . كان على يستشير ، وكان معاوية يستشير ؛ ولكن ابن أبى طالب كان يستشير أهل الذكر من صحابة الرسول ، وابن أبى سفيان كان يستشير أهل المكر من بطانة الملك . وكان عمر بن عبد العزيز يعدل ويظن لتقواه أنه يجور . وكان الحاكم بأمر الله يظلم ويظن لفجوره أنه يعدل

إنما مستبد كعمر أو مشاور كالرشيد ، تلق إليه مقاليد الحكم ثم تعيش فى ظلال حكمه بنفسه ، أو حكمه بغيره ، كما يعيش البنون فى كنف الأب ، أو المؤمنون فى ظلال الله . أما أن تنقل النظام البرلمانى الأوربى من ورق باللغة الافرنجية ، على ورق باللغة العربية ، ثم تطبقه على أمة ليس لها رأى عام ولا وعى تام ولا إرادة حرة ، فذلك عبث لا ينشأ عنه إلا ملك يقول أنا الدولة وهو كومة من القذر ، وبطانة تقول أنا القصر وهى مجموعة من الفحش ، ووزارة تقول أنا الحكومة وهى عصبة من السماسرة ، وأحزاب يقولون نحن الأمة وهم مناسر من اللصوص ، ونواب يقولون نحن الشعب وهم جماعة من الرزقة ؛ ثم يوهمون الناس بالقوة أو بالخديعة أن جملة هذه المخازى هى الدستور !

إن الدستور ياسيدى نظام فى ذاته صالح . ولكنه فى مصر حق يراد به باطل ، أو انتخاب مزيف يؤدى إلى حكم مريع . والناس فى الشرق يعبدون ألفاظ الحرية والوطنية والدستور من غير فهم ، وفى الغرب يعبدون ألفاظ الديمقراطية والإنسانية والعدالة من غير إيمان . وعبادة الألفاظ كعبادة الأشخاص أولها جهالة وجمود ، وآخرها ضلالة وكفر !

لا ينجح الدستور يا سيدى إلا فى بلد يكون أهله جميعا مؤمنين بالله أو مثقفين بالعلم !

احمد حسن الزيات

حدود الله : .. لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها !

والإسلام يعتبر الحكم من حق المسلمين جميعا ، يولون من يرضونه لدينه وخلقه ، ولا يمكن أن يقر احتكار أسرة من الأمر له ، ولم يكن في استطاعة محمد (ص) أن يؤثر بالخلافة من بعده واحدا من بني هاشم عصبيته ، بل ولم يكن في استطاعته أن يوصى بالخلافة من بعده لأي إنسان . ولقد حدث حين عرض الرسول نفسه على بني عامر أن قال له أحدهم : «أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك . أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء .. »

وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى لم يستطيعوا أن يؤثروا بالخلافة من بعدهم أحدا من عصبياتهم ولا أن يفرضوا على المسلمين واحدا من ذوي رحمهم ، لأن إيمانهم يحول دون أن يخالفوا صاحبهم ، أو يحدثوا حدثا في الإسلام ليشعلو الفتنة . وأي فتنة أكبر من الحكم الوراثي البغيض ، والاستبداد بوضع هو من حق المسلمين على السواء ؟

نعم ، حدث أن أشار أبو بكر على المسلمين بعمر ، كما أشار عمر على المسلمين باختيار واحد من ستة من كبار الصحابة .. مات رسول الله (ص) وهو عنهم راض ، وهم : « عثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام » وأن يشهد الانتخاب عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء ، حدث هذا وذاك من أبي بكر وعمر ، ولكن لم يكن إلا من قبيل النصح والإشارة ، لا من قبيل الفرض والإكراه ، ولولا أن أبا بكر لمس الموافقة من المسلمين بالإجماع لما كان عمر خليفة ، ولولا أن عمر لمس الموافقة من المسلمين بالإجماع لما كان واحد من الستة خليفة ، وقد كان يمكن التكلم في حق أبي بكر وعمر ، لو أن واحدا منهما أوصى بالخلافة لواحد من أبنائه ، ولكن لم يحدث شيء من هذا

لقد زين المغيرة بن شعبة لعمر أن يستخلف ابنه من بعده فأبى وهو يقول : « لا أرب لنا في أموركم ، وما حمدتها فأرغب فيها لأحد من بيتي ، إن كان خيرا فقد أصبنا منه ، وإن كان شرا فبحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد »

ولقد أشير على كرم الله وجهه وهو يجود بنفسه أن يوصى بالخلافة فقال : « لا آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر بأمور دنياكم »

أما ماحدث في عهد معاوية من استبداده بالأمر وجعله وراثيا من بعده ، فلم يكن من الإسلام في شيء ، وليس من الحكمة الخوض في هذه المسألة الدقيقة ، وقد يكون معاوية قد تأول فأخطأ ، وقد يكون قد استبد بالأمر دون تأول ، والمهم أن يفهم أن الإسلام يقرر النظم الصالحة ، وليس مسئولا بعد هذا عن استبداد ولاة الأمور ولا يلقى المسئولية إلا على عاتق الرعية المتخاذلة المستضعفة

ولقد كان عمر بن عبد العزيز واحدا من عصبية معاوية ، ولكنه لم يرض عن نظام الحكم الوراثي لأنه لايعتمد على مشورة المسلمين، وحين آل إليه الأمر بالوراثة صعد المنبر ثم قال :

« أيها الناس ، إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأى مني فيه ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي ، فاختاروا لأنفسكم » فتصارع من بالمسجد وقالوا بصوت واحد : قد اخترناك يا أمير المؤمنين ، ولولا هذا الإجماع في الرضا ماقبل أن يكون خليفة بالوراثة ، وهو يعلم أن في الحكم الوراثي خروجا على نظم الإسلام

وبعد — فإن في استطاعة مصر اليوم أن تتخلص من أوحال الماضي وأوزاره ، ولم يصنع هذه الأوحال والأوزار إلا الملكية ، التي أثبتت خلال قرن ونصف قرن من الزمن أنها أصل الفساد في كل ما أصاب مصر من التأخر ، وأصاب شعبها من التقهقر ، ولقد كانت هذه الملكية عقبة في سبيل الإسلام حتى لم يستطع من فوق أرض مصر أن يؤدي رسالته ويجهر بها ، فهي التي قدمت للشعب المصري المسلم — على أيدي فجرة بعض رجال الدين — إسلاما زائفا هزيلا لا يمت إلى الإسلام الصحيح بصلة ، إسلاما زائفا هزيلا يترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، ويدع ولاة الأمور يستبدون ويفجرون ويبطشون ، ويقنع الشعب بالصبر والمصابرة ، والتسليم والمسالمة حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا

زوجتي

للأستاذ على الطنطاوى

قال لى صديق ، معروف بجمود الفكر ، وعبادة العادة ، والذعر من كل خروج عليها أو تجديد فيها . قال :

— أتكتب عن زوجك فى الرسالة تقول إنها من أعقل النساء وأفضلهن ؟ هل سمعت أن أحدا كتب عن زوجه ؟ إن العرب كانوا يتحاشون التصريح بذكرها ، فيكنون عنها بالشاة أو النعجة استحياء وتعففا ، حتى لقد منع الحياء جريرا من رثاء زوجه صراحة ، وزيارة قبرها جهارا . ومالك بن الريب لما عدّ من يبكى عليه من النساء قال :

فمنهن أمى وابنتاها وخالتى   وباكية أخرى تهيج البواكيا

لم يقل وامرأتى .. وكذلك العهد بآبائنا ومشايخ (١) أهلنا ، لم يكن يقول أحد منهم : زوجتى ؛ بل كان يقول : أهل البيت وأم الأولاد ، والجماعة ، والأسرة ، وأمثال هذه الكنايات . أفترغب عن هذا كله ، وتدع مايعرف الناس ، وتأتى ماينكرون ؟

— قلت : نعم !

فكاد يصعق من دهشته منى ، وقال :

— أتقول نعم بعد هذا كله ؟

— قلت : نعم ! مرة ثانية . أ كتب عن زوجتى (٢) فأين مكان العيب فى ذلك ؟ ولماذا يكتب المحب عن الحبيبة (٣) وهى زوج بالحرام ، ولا يكتب الزوج عن المرأة وهى حبيبته بالحلال ؟ ولماذا لا أذكر الحق من مزاياها لأرغب الناس فى الزواج . والعاشق يصف الباطل من محاسن العشيقة فيحبب المعصية إلى الناس ؟

(١) هى مشايخ بالياء لا مشائخ كما يكتب بعض العالمين

(٢) الزوجة من ألفاظ الفقهاء والفصيح فيها الزوج بلا هاء

إن الناس يقرأون كل يوم المقالات والفصول الطوال فى مآسى الزواج وشروره ، فلم لا يقرأون مقالة واحدة فى نعمه وخيراته ؟

ولست بعد أكتب عن زوجى وحدها ؛ ولكنى كما كان هوجو يقول : « إنى إذ أصف عواطفى أبا ، أصف عواطف جميع الآباء »

* * *

لم أسمع زوجاً يقول إنه مستريح سعيد ، وإن كان فى حقيقته سعيدا مستريحا ، لأن الإنسان خلق كفورا ، لا يدرك حقائق النعم إلا بعد زوالها ؛ ولأنه ركب من الطمع ، فلا يزال كلما أوتى نعمة يطمع فى أكثر منها ، فلا يقنع بها ولا يعرف لذتها . لذلك يشكو الأزواج أبدا نساءهم ، ولا يشكر أحدهم المرأة إلا إذا ماتت ، وانقطع حبله منها وأمله فيها ؛ هنالك يذكر حسناتها ، ويعرف فضائلها . أما أنا فإنى أقول من الآن — تحدثا بنعم الله وإقرارا بفضله — إنى سعيد فى زواجى وإنى مستريح

وقد أعاننى على هذه السعادة أمور يقدر عليها كل راغب فى الزواج ، طالب للسعادة فيه ، فلينتفع بتجاربى من لم يجرب مثلها ، وليسمع وصف الطريق من سالكه من لم يسلك بعد هذا الطريق

أولها : أنى لم أخطب إلى قوم لا أعرفهم ، ولم أتزوج من ناس لا صلة بينى وبينهم .. فينكشف لى بالمخالطة خلاف ما سمعت منهم ، وأعرف من سوء دخيلتهم ما كان يستره حسن ظاهرهم ، وإنما تزوجت من أقرباء عرفتهم وعرفونى ، واطلعت على حياتهم

(٣) من أسرار الذوق فى كلام العرب أنهم لا يستعملون فى اسم الفاعل إلا المحب (من الرباعى) ولا يستعملون فى اسم المفعول إلا الحبيب . مع أن المحب (بالفتح) والحاب صحيحان . ولكن ما كل صحيح فصيح . فليعلم هذا الذين يظنون الإغراب فصاحة والتقعر بيانا

نحن دولة مسلمة ، ولا يمكن أن نتهاون فى هذه الحقيقة ولو بذلنا آخر قطرة من دمائنا ، ومن حق الإسلام علينا أن نجهر بالحق لا نخاف فى الله لومة لائم ، ومن الحق الذى يجب علينا أن نجهر به اليوم ، هو أن الإسلام لا يقر الملكية الوراثية بحال من الأحوال ، فليتدبر هذا جيدا المسئولون وغير المسئولين

محمد عبد الله السمان

فى بيتهم واطلعوا على حياتى فى بيتى . إذ رب رجل يشهد له الناس بأنه أفكه الناس ، وأنه زينة المجالس ونزهة المجامع ، وهو فى بيته أثقل الثقلاء . ورب سمح هو فى أهله شحيح ، وكريم هو فى أسرته بخيل ، يغتر الناس بحلاوة مظهره فيتجرعون مرارة مخبره . .

تزوجت بنتاً أبوها ابن عم أمى لحا ، وهو الأستاذ صلاح الدين الخطيب شيخ القضاء السورى المستشار السابق والكاتب العدل الآن . وأمها بنت المحدث الأكبر ، عالم الشام بالإجماع الشيخ بدر الدين الحسينى رحمه الله . فهى عريقة الأبوين ، موصولة النسب من الجهتين

والثانى : أنى اخترتها من طبقة مثل طبقتنا . فأبوها كان مع أبى فى محكمة النقض ، وهو قاض وأنا قاض ، وأسلوب معيشته قريب من أسلوب معيشتنا ، وهذا هو الركن الوثيق فى صرح السعادة الزوجية ، ومن أجله شرط فقهاء الحنفية (وهم فلاسفة الشرع الإسلامى) الكفاءة بين الزوجين

والثالث : أنى انتقيتها متعلمة تعلما عاديا ، شيئا تستطيع به أن تقرأ وتكتب ، وتمتاز من العاميات الجاهلات ، وقد استطاعت الآن بعد ثلاثة عشر عاما فى صحبتى أن تكون على درجة من الفهم والإدراك ، وتذوق ما تقرأ من الكتب والمجلات ، لا تبلغها المتعلمات ، وأنا أعرفهن وكنت إلى ما قبل سنتين ألقى دروساً فى مدارس البنات ، على طالبات هن على أبواب البكالوريا ، فلا أجدهن أفهم منها ، وإن كن أحفظ لمسائل العلوم ، يحفظن منها مالم تسمع هى باسمه . ولست أنفر الرجال من التزوج بالمتعلمات ، ولكنى أقرر — مع الأسف — أن هذا التعليم الفاسد بمناهجه وأوضاعه ، يسئ على الغالب إلى أخلاق الفتاة وطباعها ، ويأخذ منها الكثير من مزاياها وفضائلها ، ولا يعطيها إلا قشورا من العلم لا تنفعها فى حياتها ، ولا تفيدها زوجاً ولا أما . والمرأة مهما بلغت لا تأمل من دهرها أكثر من أن تكون زوجة سعيدة وأما

والرابع : أنى لم أبغ الجمال وأجعله هو الشرط اللازم الكافى كما يقول علماء الرياضيات لعلمى أن الجمال ظل زائل ؛ لا يذهب جمال الجميلة ، ولكن يذهب شعورك به ، وانتباهك إليه ، لذلك ترى من الأزواج من يترك امرأته الحسناء ويلحق من لسن على حظ من الجمال ، ومن هنا صحت فى شريعة إبليس قاعدة الفرزدق وهو من كبار أئمة الفسوق ، حين قال لزوجه النوار فى القصة المشهورة : ما أطيبك حراما وأبغضك حلالا !

والخامس : أن صلتى بأهل المرأة لم يجاوز إلى الآن ، بعد ثمن قرن من الزمان ، الصلة الرسمية : الود والاحترام المتبادل ، وزيارة الغب ، ولم أجد من أهلها ما يجد الأزواج من الأحماء من التدخل فى شؤونهم ، وفرض الرأى عليهم ، ولقد كنا نرضى ونسخط كما يرضى كل زوجين ويسخطان ، فما دخل أحد منهم يوما فى رضانا ولا سخطنا

ولقد نظرت إلى اليوم فى أكثر من عشرين ألف قضية خلاف زوجى ، وصارت لى خبرة أستطيع أن أؤكد القول معها بأنه لو ترك الزوجان المختلفان ، ولم يدخل بينهما أحد من الأهل ولا من أولاد الحلال ، لانتهت بالمصالحة ثلاثة أرباع قضايا الزواج

والسادس : أننا لم نجعل بداية أيامنا عسلا ، كما يصنع أكثر الأزواج ، ثم يكون باقى العمر حنظلا مرا وسما زعافا ، بل أريتها من أول يوم أسوأ ماعندى ، حتى إذا قبلت مضطرة به ، وصبرت محتسبة عليه ، عدت أريها من حسن خلق ، فصرنا كلما زادت حياتنا الزوجية يوما زادت سعادتنا قيراطا

والسابع : أنها لم تدخل جهازا ، وقد اشترطت هذا لأنى رأيت أن الجهاز من أوسع أبواب الخلاف بين الأزواج ، فإما أن يستعمله الرجل ويستأثر به فيذوب قلبها خوفا عليه ، أو أن يسرقه ويخفيه ، أو أن تأخذه بحجز احتياطى فى دعوى صورية فتثير بذلك الرجل

والثامن : أنى تركت ماللقيصر لقيصر ، فلم أدخل فى شؤونها من ترتيب الدار وتربية الأولاد ؛ وتركت هى لى ما هو لى ، من الإشراف والتوجيه ، وكثيرا ما يكون سبب الخلاف لبس المرأة عمامة الزوج وأخذها مكانه ، أو لبسه هو صدار المرأة ومشاركتها

الرأى فى طريقة كنس الدار ، وأسلوب تقطيع الباذنجان ، ونمط تفصيل الثوب

والتاسع : أنى لا أكتمها أمرا ولا تكتمنى ، ولا أكذب عليها ولا تكذبنى ، أخبرها بحقيقة وضعى المالى ، وآخذها إلى كل مكان أذهب إليه أو أخبرها به ، وتخبرنى بكل مكان تذهب هى إليه ، ونعود أولادنا الصدق والصراحة ، واستنكار الكذب والاشمئزاز منه

ولست والله أطلب من الإخلاص والعقل والتدبير أكثر مما أجده عندها . فهى من النساء الشرقيات اللاتى يعشن للبيت لا لأنفسهن . للرجل والأولاد ، تجوع لنأكل نحن ، وتسهر لننام ، وتتعب لنستريح ، وتفنى لنبق . هى أول أهل الدار قياما ، وآخرهم مناما ، لا تنى تنظف وتخيط وتسعى وتدبر ، همها إراحتى وإسعادى . إن كنت أكتب ، أو كنت نائما أسكتت الأولاد ، وسكتت الدار ، وأبعدت عنى كل منغص أو مزعج . تحب من أحب ، وتعادى من أعادى . إن حرص النساء على رضا الناس كان حرصها على إرضائى . وإن كان مناهن حلية أو كسوة فإن أكبر مناها أن تكون لنا دار علكها نستغنى بها عن بيوت الكراء .

تحب أهلى ، ولا تفتأ تتوسل إلى كل خير عنهم . إن قصرت فى بر أحد منهم دفعتنى ، وإن نسيت ذكرتنى ، حتى أنى لأشتهى يوماً أن يكون بينها وبين أختى خلاف كالذى يكون فى بيوت الناس ، أتسلى به ، فلا أجد إلا الود والحب ، والإخلاص من الثنتين ، والوفاء من الجانبين . إنها النموذج الكامل للمرأة الشرقية ، التى لا تعرف فى دنياها إلا زوجها وبيتها ، والتى زهد بعض الشباب فيها ، فيذهبون إلى أوربة أو أميركة ليجيئوا بالعلم فلا يجيئون إلا بورقة فى اليد وامرأة تحت الإبط ، امرأة يحملونها يقطعون بها نصف محيط الأرض أو ثلثه أو ربعه ، ثم لا يكون لها من الجمال ولا من الشرف ولا من الإخلاص ما يجعلها تصلح خادمة للمرأة الشرقية ؛ ولكنه فساد الأذواق ، وفقد العقول ، واستشمار الصغار ، وتقليد الضعيف للقوى . يحسب أحدهم أنه إن تزوج امرأة من أميركا ، وأى امرأة ؟ عاملة فى شباك السينما ، أو فى مكتب الفندق ، فقد صاهر طرمان (١) ، وملك ناطحات السحاب ، وصارت له القنبلة الذرية ، ونقش اسمه على تمثال الحرية . .

* * *

إن نساءنا خير نساء الأرض ، وأوفاهن لزوج ، وأحناهن على ولد ، وأشرفهن نفسا ، وأطهرهن ذيلا ، وأكثرهن طاعة وامتثالا وقبولا لكل نصح نافع وتوجيه سديد . وإنى ما ذكرت بعض الحق من مزايا زوجتى إلا لأضرب المثل من نفسى على السعادة التى يلقاها زوج المرأة العربية (وكدت أقول الشامية) المسلمة ، لعل الله يلهم أحدا من عزاب القراء العزم على الزواج فيكون الله قد هدى بى ، بعد أن هدانى !

دمشق — علي الطنطاوي

(١) تعريب ترومان

مع البائسين

عبد الحميد الديب

للأستاذ محمد رجب البيومى

كتبت بالرسالة (٩٥٨) مقالا عن الشاعر البائس المرحوم محمد إمام العبد ، وقد خطر لى أن أتبعه بمقال عن زميله الشاعر البائس عبد الحميد الديب رحمه الله ، وما زلت أترقب فرصة الحديث عن الشاعر حتى سنحت اليوم

وقد لاحظت أن الرجلين متشابهان فى أكثر من وجه ، فكلاهما بائس معدم حاربه الدهر فى رزقه ، ووقف أمامه يسد السبيل عليه إلى الحظوة والسعادة والجاه

وكلا الرجلين شاعر ملهم يصوغ خواطره وأشجانه مستلهما واقع حياته ، وظروف معيشته ، فتأتى قصائده حارة ملتاعة ، تنطق بالكآبة ، وتتسم باللوعة والقنوط

وكلا الشاعرين — رغم فاقته الدقعة — كان مجالا للفكاهة والتندر ، فتارة يبتدع النكتة المرحة ، واللمحة النابتة ، وتارة تدور عليه القفشات البارعة ، ويتخذ منه أداة للترفيه ، والترويح فى المجالس والمنتديات

وكلا الشاعرين قد اضطر اضطرارا إلى التجارة بالشعر ، فكان يكتب القصيدة فى أى موضوع يملى عليه ، ويبيعها إلى المتشاعرين نظير مبلغ خاص يرزق به ، ثم تنشر فى الصحف بعد ذلك ممهورة بإسم المشترى المحتال

وكلا الرجلين — أخيرا — دميم الخلقة ، عبوس الوجه ، ممزق الثوب يحمل رائيه على السخرية والعبث به ، لولا ما يرفرف فى أشائه من روح عذبة لطيفة ، تبث فى محضرها أنواعا مرحة من الخفة والبشر والابتهاج

نشأ إمام فى كنف عبدين رقيقين ، ونشأ عبد الحميد فى ظل أسرة متوسطة بإحدى قرى المنوفية ، كان عائلها يتاجر فى القطن فأصاب ربحاً جزيلا منه ، ثم عصف بهسوء الحظ فتحول إلى المتربة والإدقاع ، وتقلب فتاه معه فى حالتيه ، فرفل فى مطارف النعمة والسعادة حينا ، ثم احترق فى لهيب الفاقة والحرمان حينا آخر .

وقد كان هذا التناقض الفاجئ فى حياته ذا أثر هام فى شخصيته ، فقد أورثه تناقضا ملحوظا فى طباعه ، فكان سريع الغضب والرضا معا ، يضحك فجأة ويسخط فجأة ، ويمدح ويشتم ، ويتفاءل ويتشاءم ، ويلحد ويستغفر ، كل هذا فى آن واحد ومجلس واحد ، مما جعل أصدقاءه يتقبلونه ويألفونه دون أن يجدوا فيه موضعا للمؤاخذة والعتاب

وقد نشأ إمام العبد فى جيل لا يشجع الأدب والأدباء ، فالأمية فاشية ، والصحافة تسير بخطى متعثرة ، والقراء هم الأدباء أنفسهم ، إلا ما ندر من الأغنياء والموظفين ، لذلك سدت أمامه سبل العيش ولم يجد فى الشعر والأدب متجرا رابحا يدر عليه الرزق والمال !! ولكن عبد الحميد نشأ فى جيل يختلف عن جيل صاحبه ، فقد كثر عشاق الأدب والصحافة ، وأصبح الأدباء يرزقون بثمرات أفكارهم ، وأسلات أقلامهم . وهنا نجد أنفسنا تواجه سؤالا هاما تحتم الإجابة عليه ، فهل كان عبدالحميد الديب بائسا حقا ؟ أم أنه قد احترف البؤس احترافا ، وكان فى متناوله أن يصبح سعيدا محظوظا ، كأصدقائه من الكتاب والشعراء ؟ لقد سمعنا كثيرا ممن يكون عبد الحميد ، يتحسرون على شبابه الضائع فى أمة لا تقدر الأدب ، ولا تعترف بالمواهب ، فهم ينحون باللائمة على مجتمع يهمل النابغين ، ويحتقر المواهب والكفايات ! !

سمعنا ذلك ، وقرأناه مرات ومرات ، ولكننا قرأنا بمجلة الرسالة (٧٩٦) رأيا آخر للكاتب الفاضل الأستاذ عباس خضر ، يتهم به الشاعر باصطناع البؤس واحترافه ، ويدفع عن مصر ما ينسب إليها — ظلما — من احتقار المواهب والنبوغ ، وسننقل هنا خلاصة هذا الرأى الفريد ، ثم نعقب عليه بما نراه :

قال الأديب البارع الأستاذ عباس « إنما يأتى البؤس والحرمان من التعفف مع عدم القدرة على الارتزاق ، وقد كان الديب على عكس ما يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، إذ كان من المقاة السائلين ، وكثيرا ما هيئت له أسباب العمل ، فقد وظف عدة مرات فى التدريس بمجالس المديريات ، وطالما دعى

إلى التحرير بالصحف والمجلات ، فكان يبدأ العمل ، وينقطع عنه بعد قليل ، وفي بعض الأحيان كان يحتال لأخذ الرتب مقدما ثم يذهب ولا يعود »

ويقول الكاتب الفاضل بعد كلام طويل يدور حول ذلك « هذه هي الحقيقة في حياة عبد الحميد كما يعرفها خلطاؤه ، لا كما يحلو لبعض الناس أن يصورها ، فلم يكن البؤس يأتي إليه قدراً لا يد له فيه ، وإنما كان يصنع البؤس صنعا ، كان يحصل على المال فيبذره تبذيرا في أدنأ الوجوه ، وأقذر النيات ، ثم يجوع ويعرى ، بصنيعه ، وكانت تعوزه الكرامة والإباء والعفة ، ليكون بائسا حقيقيا ، وكان لا يتحرج من أي وسيلة للاستفادة المادية ، ولا يتورع عن أي شتم ، ولم ينج من هجوه أحد ممن عرف سواء أعطاه أم منعه ، فعلى الناعين على هذا الوطن جحوده وإهماله النابغين من أبنائه أن يلتمسوا المثال في غير عبد الحميد الديب ، ويعفوا التاريخ من التزوير والتزييف »

هذا هو رأي الأستاذ عباس خضير ، ونحن نخرج منه بنتيجتين ، أولاهما أن المجتمع المصري قد قدر الشاعر ، وفتح له أبواب الرزق فسدها بيديه . وثانيهما أن الديب قد اصطنع البؤس اصطناعا وكان في مكنته أن ينعم بالمال والسعادة ، لو سلك الطريق القويم !!

ونحن نوافق على النتيجة الأولى ، فنبرئ المجتمع المصري من احتقار المواهب ممثلة في الديب ، فقد مهد للشاعر سبيل الرزق ، وأعد له الوظيفة اللائقة ، ومنحه الزملاء والأدباء ما يكفيه من المال لو اعتصم بالحكمة والسداد . هذا حق لا مرية فيه ، وعلى الناعين على الوطن إهماله وجحوده أن يلتمسوا المثال في غير الديب كما يقول الأستاذ عباس — كأن يلتمسوه مثلا في إمام العبد ، الذي نشأ في جيل غير جيل عبد الحميد ، فكابد من الجوع والحرمان ما أورثه التعاسة والشقاء !!

أما النتيجة الثانية ، فسنخالف فيها الكاتب مخالفة صريحة ، فقد كان الديب ملتاث العقل ، لا يعي ما يصنع ، بل تضيق به نفسه ، فيترك الوظيفة ، ويهيم على وجهه دون أن يستمع إلى منطق أو تفكير سليم ، وهذا الذي لا يملك زمام نفسه ، بل يهوى به الشرود والذهول إلى هوة مؤلمة ، فيمزق ثوبه وحذاءه ، ويترك الغبار على رأسه الأشعث ، ووجهه الشاحب ، وأسنانه الصفراء ، ثم يرسل الضحكات بلا مناسبة ، ويرفع الصوت عاليا دون مبرر ، ويبكي ويضحك في آن واحد ، هذا الذي يفعل ذلك كله ، لا يكون ممتعاً بقواه العقلية حتى يصنع البؤس ويحترفه ، وكل ما يقال عنه أنه تائه شريد ، لا يعي مصلحته ، ولا يقدر نفعه ، فهو — إذن — جدير بالرحمة والإشفاق

لو كان الديب يصنع البؤس عامدا ، ويتخيره عن روية وتفكير ، ما دفع به الحظ التعس إلى مستشفى الأمراض العقلية ، فيقضي شهورا مؤلمة بين عالمه الطبيعي المزدحم بالممرورين والمجاذيب ، ولكنه جن جنونا حقيقيا ، فانحدر إلى هذا الهوى السحيق

لو كان الديب يصنع البؤس عامدا ما قضى شهوراً مريرة في السجن ، تكتنفه الظلمات ، وتتغشاه الغياهب ، ويجاور السفلة من المجرمين والأوغاد ، ويقول عنهم في حنق وأسف :

بنو آدم من حولنا أم عقارب لها في الحشا قبل الجسوم دبيب
لقد كنت فيهم يوسف السجن صالحا أفسر أحلاما لهم وأصيب

لو كان الديب يصنع البؤس عامداً ، ما قطع الليالي الباردة في زمهرير الشتاء ، هائما في الطرقات ، تتقاذفه الشوارع والأزقة ، ويهمر المطر غزيرا فوق رأسه ، وترتعش أضالعه ، وتصطك أسنانه كالمقرور ، ولا يدري أين يذهب ويلتجئ ، حتى يسمع صوت المؤذن في الفجر ، فيعلم أن المساجد قد فتحت أبوابها للتائبين ، فيهرع إليها محتميا بجدرانها من السيول الدافقة ، ويجد نفسه مدفوعا إلى الصلاة بدون رغبة سابقة ، فيقول :

إذا أذنوا للفجر قمت مسارعا إلى مسجد فيه أصلي وأركع
أصلي بوجدان المرائي وقلبه وبئست صلاة يحتويها التصنع

لو كان الديب يصنع البؤس عامدا ، ما ترك دار العلوم دون أن يتم سنواتها الدراسية ، وقد كان قريباً من مؤهلها الذي يضمن له الهدوء والاستقرار ، دون أن يتساقط على الفتات

لو كان يصنع البؤس عامدا ، ما كابد هذه الشرور والأهوال ، ولكنه ذو عقل ملتاث يدانيه من المخاطر ، ويباعده عن الأمن والاطمئنان ، وأمثاله كثيرون ممن تضج بمآسيهم الحياة ، ولا يجدون الراحة في غير المقابر الحالكة ، بعد أن يطوفوا طويلا بالسجون والمستشفيات ؟! أليس هو القائل :

جوارك يا ربي لمثلي راحة تخذتني إلى النيران لا جنة الخلد

فاذا بعد الحنين إلى الموت والفزع من الحياة ؟!

ولم يكن جنون الديب دائما ، بل كان متقطعاً يواتيه الفينة بعد الفينة ، وبذلك استطاع أن ينظم الشعر الرائع ، وأن يخلد ذكره بين الأدباء ، كما خلد المجنون الأكبر قيس حديثه بين العشاق

ونحن لا نستطيع أن نحكم على شعره حكما صادقا صريحا ، لأن عبقريته الفائقة تجلت فى أهاجيه المريرة اللاذعة ، وهى لم تنشر على الناس فى كتاب ، ولا يسمح من يحفظها من أصدقائه بتدوينها فى صحيفة أو كتاب ، لبشاعة ما تحمل من التجنى والإسفاف . فكيف نحكم عليها وهى لا تزال فى طى الكتمان ! على أنى قرأت كثيرا مما نظمه فى بؤسه وحرمانه ، فوجدته يمتع بسلاسة اللفظ ووضوح المعنى ، وصدق العاطفة ، وكان يصور شجونه كما ترتسم فى نفسه ، دون أن تتعمق به الفكرة أو يطير بجناحه الخيال ، وإنما يقتصر على الوصف الصادق لشعوره التألم ، وإحساسه اللذاع ، كأن يقول :

أفى غرفتى يارب أم أنا فى لحدى ... ألا شد ما ألقى من الزمن الوغد
فأهدأ أنفاسى تكاد تهدها ... وأيسر لمسى فى بنايتها يردى
ترانى بها كل الأثاث ، فمعطفى ... فراش لنومى ، أو وقاء من البرد
أرى النمل يخشى الناس إلا بأرضها ... فأرجله أمضى من الصارم المندى
تحملت فيها صبر أيوب فى الضنى ... وذقت هزال الجوع أكثر من غاندى

أو يقول :

أرى الحوادث آسادا مقذفة ... على دون الورى تعدو وتقتتل
فكم تصوح عودى بعد نضرته ... وكم خبا فى دياجى عمرى الأمل
كأن حظى رحيق الدهر يشربها ... بكرا معتقة ، فالدهر بى ثمل
إذا تطلبت عيشى مت من كمد ... وإن تطلبت حينى يبعد الأجل
جوعان ، ياعمة أربت على جلدى ... كأن ليلى بيوم البعث متصل

أو يقول :

أذله الدهر لا مال ولا سكن ... حتى تزيد على أنفاسه المحن
إذا سعى فجميع الأرض قبلته ... وإن أقام فلا أهل ولا وطن
مهاجر بين أقطار الأسى أبدا ... كأنه بيد الأرزاء مرتهن
كأنه حكة المجنون يرسلها ... بغير وعى ، فلا تصغى لها أذن

هذه بعض النفثات الحارة التى نفس بها الشاعر عن صدره ، وهى قريبة من نفثات إمام العبد التى نشرنا بعضها بالرسالة . والشاعران كما يلاحظ القارئ متماثلان فى المرض والمنى والصناعة ، ولكن بيئة إمام الشعرية لم تكن تسمح بالابتكار والتنوع ، كما سمحت بهما بيئة الديب ، فقد وجد من شعراء عصره ونقاده ، عمالقة موهوبين ذهبوا بالشعر مذاهب مختلفة ، وفتحوا له آفاقا شاسعة رحيبة . وطبيعى أن يتأثر بما يقرأ ويسمع ، لذلك نجده يجنح إلى الشعر التحليلى فى قصائده التى نشرها بالمقتطف ، كما يميل إلى الشعر القصصى فينظم منه قصيدتيه : « أحزان الأسد » ، « ووفاة القمر » وفيهما طرافة وأناقة فى المعانى والأساليب . وقد وفق توفيقا بارعا فى قصيدته « غنى الجار » فجاءت مثالا جيلا للتصوير الصادق ، الموشى بحلة زاهية من الأناقة والسلاسة . وقد تغلغل الشاعر إلى أعماق جاره الثرى الشحيح فرسم كبرياءه وغروره ، وصور اشمئزازه المفتعل ، وتعاليه الوضيع ، وأضفى على أولاده من البهجة والأنس أثوابا ناضرة ، ثم انحدر به إلى أسفل دركات الإنسانية ، حين جعله يجثو ذليلا صاغرا ، أمام دريهمات حقيرة ، يستلها من جيب مفلس محتاج !! وقد بلغت خطراته الشعرية من الجودة مبلغا رائعا ، وهى جديرة بأن تكون ختاما طيبا لهذا المقال

قال المرحوم عبد الحميد الديب :

على القرب منى كنز قارون ماثلا ... ولما أنل منه سوى حرقة اليأس
تكبر فالألفاظ منه إشارة ... كأن عباد الله طرا من الخرس[1]
وإن نطق الفصحى فمن طرف أنفه ... كنفخة ذى جاه رفيع من الفرس
له أسرة كالروض زهرا وصادحا ... فمن شامها ألفى ملائك فردوس
بنون بنات كالورود ملابسا ... يمرون كالإصباح معتدل الطقس
يمر على سكناى فى ذيل بيته ... مرور عيون الموسرين على الفلس
صحوت على قصف الرياح وصوته ... وما أحدث الطرق الشديد من الجرس
يطالبنى بالأجر فى غيظ بائع ... تصيده المحتال بالثمن البخس
وأسمعته صوت الدراهم فانحنى ... يقدم أعذار اليهود من الوكس
وأخضع فقرى كبره وثراءه ... وأى غنى للحر غير غنى النفس

أبو تيج **محمد رجب البيومي**

(١) ألفت القراء إلى جمال التصوير فى هذا البيت

تركيـــا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

دولة يثير اسمها فى نفوس المصريين ذكرياته وشجونا

وأمة كان لها فى التاريخ صولة وجولة وكان لها مركز عظيم ومقام كبير ، ثم دار الزمن دورته فدالت دولتها وهانت وذلت إلى أن أصبحت كرة فى يد اللاعبين من أمم الغرب

وكان ساسة أوربا يتحدثون عنها طوال القرن التاسع عشر ويعتونها باسم الرجل المريض (المحتضر)

إلى أن جاءت سنة ١٩٢٠ فنهض بطل من أبنائها وقائد من قوادها هو مصطفى كمال أتاتورك فأعاد إليها مجدها ورد إليها روحها وبث فى أبنائها قوة وعزة فوقفت من جديد على أقدامها

لكن تركيا الحديثة اتجهت فى سياستها اتجاها جديدا ؛ فولت وجهتها شطر أمم الغرب وحاولت أن تقطع صلتها بالشرق : عمدت إلى أزيائها فغيرتها وإلى مألوف عاداتها وتقاليدها فبدلتها .. وحتى الدين لم تحرص الدولة على أحكامه ولم يعد دينها الرسمى

لقد وقع أتاتورك فى خطأ جسيم إذ اعتقد أنه ما أصاب تركيا من ذل وهوان وضعف واضمحلال إنما يرجع فى أساسه إلى الخلافة ، وفات هؤلاء أن فساد الخلفاء لا يرجع إلى فساد الدين وإنما يرجع إلى أشخاص الخلفاء ؛ وأن ضعف الخلفاء ليس مصدره الدين وإنما مصدره انحراف الخلفاء عن كنه العقيدة وعما يأمر به الدين . وهكذا وقع الكماليون فى الخطأ .. ولكن الأتراك وإن أطاعوا ظاهريا إلا أنهم احتفظوا بعقيدتهم سليمة كما وضح لنا أخيرا

وقطعت تركيا علاقاتها بالدول الشرقية إذ أرغمت بسبب هزائمها فى الحرب العالمية على أن تنسحب من الدول الشرقية : من مصر وبلاد العرب وبلاد العراق وفلسطين والشام وغيرها . وقد اعتقد الأتراك خطأ أنهم قد تخلوا عن عبء باهظ كانوا يحملونه ، والحقيقة أن هذه الأمم قد تنفست الصعداء حين زال عنها الكابوس التركى

لقد نظرت هذه الأمم إلى علاقتها الماضية بتركيا وإلى تاريخ الحكم التركى فلم تجد فيه شيئا يسر أو يرضى . لقد قام الحكم التركى على الاستغلال والظلم ، والطغيان والاستبداد . لقد كان الحكم التركى يهدف أولا وأخيرا إلى جمع المال لينفق على موائد الخلفاء وفى ترفهم ولهوهم . وكان المال يجمع بطرق وحشية فيها غلظة وفيها تعذيب وفيها جلد وحبس الخ

ولم يكن الأتراك يهتمون بإصلاح حال رعاياهم ومن ثم شلت كل حركة للإصلاح وكانت جناية الأتراك على الشرق فظيعة قاسية

وانزاح الكابوس التركى ولكنه ترك وراءه أمما ضعيفة لم تستطع أن تدافع عن كيانها ، ومن ثم سقطت هذه الأمم فى يد الدول الأجنبية فوضعت العراق وفلسطين تحت الانتداب الإنجليزى ، وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى ، وأما مصر فكانت تحت الحماية البريطانية ! ! وهكذا كانت جناية الأتراك على الشرق

على أن هذه الأمم جاهدت الاستعمار والمستعمرين وظفر بعضها باستقلاله كاملا وما زال البعض الآخر يجاهد فى سبيل استكمال أسباب استقلاله وسيادته عن قريب سيزول بأمر الله كل أثر للاستعمار البغيض فى الشرق

وقد كان يحز فى نفوسنا نحن المصريين ما كان يترامى إلى أسماعنا من أن تركيا تعارض فى جلاء القوات البريطانية عن أرضنا باعتبار أن مصر قاعدة ضرورية لحماية ظهر تركيا . وقد كان ذلك يؤلمنا أشد الألم ، فقد كنا نتوقع أن تقف تركيا فى صفنا لا ضدنا ، وكنا نتساءل إذا كانت تركيا ترغب فى أن يحمى الإنجليز أرضها فلما لا تسمح لهم باتخاذ قاعدة فى بلادها وحينذاك يكونون أقرب إلى حمايتها وأسرع إلى نجدتها وإنقاذها ؟

وقد حدثتنا الصحف أخيرا أن تركيا تتجه الآن فى موقفها السياسى إزاء مصر اتجاها جديدا يهدف إلى تأييدها فى طلب الجلاء الناجز عن أرضها واعتبار القاعدة الإستراتيجية فى منطقة القنال قاعدة ثانوية .. وكانت تعتبر من قبل ضرورية لحماية ظهر الجيش التركى

ونحن نحمد لتركيا أن تعدل من سياستها وأن تقف بجانب أخواتها المكافحات فى سبيل الحرية فإن ذلك خير لها وأجدى

وجدير بى أن أذكر أن سياسة تركيا الخارجية إنما يمليها عليها موقعها الجغرافى ، فهى تقع فى ملتقى قارتين ، أوربا وآسيا ، وتفصل بين بحرين ، البحر الأبيض والبحر الأسود ، وتصل ما بينهما بواسطة

بحر مرمرة وبوغازى الدردنيل والبسفور وبحر إيجه .

وقد نشأ من هذا الموقع عدة مشاكل أهمها مشكلة البوغازات وما عرف فى التاريخ باسم المسألة الشرقية

فأما مشكلة البوغازات فأساسها سيطرة تركيا على بوغازى الدردنيل والبسفور وتحكمها فى الملاحة بين البحرين الأسود والأبيض ، ذلك أن روسيا لها شواطىء على البحر الأسود وهى تسعى دائما للوصول إلى البحر الأبيض ، وسفنها مضطرة إلى أن تمر ببوغازى الدردنيل والبسفور الواقعين فى يد تركيا ، وهكذا كانت السفن الروسية ولا تزال تحت رحمة الدولة المسيطرة على البوغازات ، ومن هنا نشأ الخلاف بين تركيا وروسيا وقامت بينهما الحروب

وفى سنة ١٨٠٩ كانت إنجلترا تناصب نابليون سيد أوربا العداء وفى الوقت نفسه كان نابليون حليف روسيا إذ ذاك ، وكانت الحرب قائمة بين روسيا وتركيا ، ومن هنا قامت صداقة بين إنجلترا وتركيا إذ كانتا عدوتين لروسيا ونابليون ، فوقعت تركيا وإنجلترا معاهدة سنة ١٨٠٩ عرفت باسم معاهدة البوغازات ، وأهم ما فيها أن تغلق تركيا البوغازات فى وجه السفن الحربية الأجنبية ، ومن البديهى أن المقصود بالسفن الأجنبية إنما السفن الروسية ، إذ ليس ثمة صالح لإنجلترا أن تدخل البوغازات

وقد انتهت حروب نابليون بهزيمته ، وقام تحالف إنجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا ولكن معاهدة البوغازات ظلت قائمة

وفى سنة ١٨٣٠ قامت الحرب بين محمد على وتركيا ، وتدخلت روسيا للدفاع عن عدوتها التقليدية تركيا ضد محمد على ، ودبت عقارب الشك فى نفس إنجلترا فتدخلت وانتهى الخلاف بين محمد على والسلطان سنة ١٨٤١ ونصت المعاهدات الدولية على الاحتفاظ بالمبدأ السابق فى معاهدة البوغازات

وفى سنة ١٨٥٣ قامت حرب القرم بين روسيا فى جانب ، وتركيا وإنجلترا وفرنسا فى جانب آخر ، وقد انتصر الحلفاء ضد روسيا . وفى معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ تقررت حيدة البحر الأسود ومنعت روسيا من إقامة حصون عليه وحرم عليها أن يكون لها به سفن حربية ، وتقرر الاحتفاظ بالمبدأ السائد فى معاهدة البوغازات وهو إغلاق البوغازات فى وجه السفن الحربية الأجنبية

ولكن روسيا مزقت نصوص المعاهدة فى سنة ١٨٧٠ منتهزة قيام الحرب بين فرنسا وألمانيا ، وفى سنة ١٨٧٧ قامت الحرب بينها وبين تركيا وتدخلت إنجلترا وأنذرت روسيا بأنها إذا هاجمت القسطنطينية عاصمة تركيا فستضطر إلى التدخل ، وأذعنت روسيا لتهديد إنجلترا ووقعت مع تركيا معاهدة سان استفانو التى عدلت فى مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ وعقدت معاهدات احتفظ فيها بمبدإ إغلاق البوغازات فى وجه السفن الأجنبية

وقد مزقت هذه المعاهدة أملاك تركيا فى أوربا ، فقد استقلت عنها رومانيا والجبل الأسود والصرب (يوغوسلافيا) ونالت بلغاريا استقلالا ذاتيا واسع النطاق ، واستولت إنجلترا على قبرص وأخذت روسيا قارز وباطوم ، وكان اليونان قد حصلت على استقلالها منذ سنة ١٨٢٩ ، وهكذا تحطمت الإمبراطورية العثمانية فى أوربا وجثمت الدول الأوربية الكبرى على صدر تركيا

أحفظ ذلك تركيا فلجأت إلى ألمانيا وقامت بينهما علاقات صداقة ، وقد وقفت تركيا إلى جانب ألمانيا فى الحرب العالمية سنة ١٩١٤ — ١٩١٨

ولما هزمت ألمانيا وحلفاؤها مزقت الدول المنتصرة أملاك تركيا خارج أوربا ، بل إن أراضى تركيا نفسها كانت موضع النهب والتنافس بين الدول العظمى والدول الصغيرة ، ولولا أن الله بعث لتركيا مصطفى كمال لضاعت إلى الأبد

وفى خلال الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ — ١٩٤٥ وقفت تركيا على الحياد فأفادت من ذلك كثيرا : أولا استطاعت أن تقوى جيشها وأن تجعله مستعدا للدفاع عن أراضيها إذا تعرضت لخطر . ثانيا : جنب هذا الحياد تركيا ويلات الحرب وكوارثها ، وما الحرب فى هذه العصور إلا الدمار والخراب والفناء والبؤس والشقاء

وقد أعلن تشرشل منذ أيام أن العامل الوحيد فى منع قيام الحرب الثالثة . هو الخوف من ويلات الحرب . وها نحن نرى بأعيننا آتون الحرب الملتهبة فى كوريا ونلاحظ أن الدول تلقى فيه من الوقود بقدر مخافة أن تزداد النار اشتعالا فتلتهم العالم كله .

من أدب التاريخ

أبو مروان الخرائطى

للأستاذ محمود عزت عرفة

فى عام ٢٢٩ من الهجرة حبس الخليفة العباسى الواثق كتاب دولته وأزمهم مغارم جسيمة ، متهما إياهم بالخيانة واحتجان المال

وكان بين هؤلاء : أحمد بن إسرائيل ، وسليمان بن وهب كاتب إيتاخ القائد ، وأخوه الحسن بن وهب ، وأحمد بن الخصيب ، وإبراهيم بن رباح ، ونجاح بن سلمة ، وأحمد بن خالد الملقب بأبى الوزير .

وقد تولى تدبير هـذا الأمر محمد بن عبد الملك الزيات وزير الواثق . وكان ابن الزيات — على رجاحة عقله ووفور علمه وأدبه — ينطوى على أبلغ ماانطوى عليه جوانح رئيس من القسوة والظلم والاعتساف

وكان سليمان بن وهب من أشد هؤلاء النكوبين تعرضا للأذى ، وإن كان قد خلص بنفسه من العطب تحت شروط تمال ارتضاها وأقر بها . ويسجل الطبرى ذلك فى تاريخه فيقول : (١)

« أمر الواثق بحبس سليمان بن وهب كاتب إيتاخ ، وأخذه بمائتى ألف درهم — وقيل دينار — فقيد وألبس مدرعة من مدارع اللاحين ، فأدى مائة ألف درهم . وسأل أن يؤخر بالباقى عشرين شهراً ، فأجابه الواثق إلى ذلك ، وأمر بتخلية سبيله ورده إلى كتابة إيتاخ ، وأمره بلبس السواد » .

وروى القاضى التنوخى فى كتابه (الفرج بعد الشدة) ، بإسناد إلى سليمان بن وهب نفسه ، قوله : (٢)

« كنت فى زمن محمد بن عبد الملك فى أيام الواثق لما صادرنى عن كتابة إيتاخ على أربعمائة ألف دينار ، وقد أديت منها مائتى ألف ونيفاً . فاستحضرنى يوماً وطالبنى بالباقى ، وحدق فيه وأرهبنى ، ولم يرض منى إلا أن أجبت أن أؤدى خمسين ألف دينار قائمة للمصادرة ، على أن يطلق ضياعى . . »

* * *

جلس محمد بن عبد الملك الزيات يوماً يجد فى مطالبة هؤلاء النكوبين ويمعن فى إرهابهم واحداً بعد الآخر . فلما كانت نوبة سليمان أعاد عليه المطالبة وأغلظ له فى القول ، وسامه أن يقر كتابة بقدر من المال جسيم . وقبل أن يأخذ خطه بما قرره عليه خرج من دار الحرم خادم صغير ودس فى يد الوزير رقعة مكتوبة ، فلم يستوعب بنظره كلماتها حتى نهض فى إثر الخادم معجلا

وكان بين الحاضرين الحسن بن وهب أخو سليمان ، وهو لا يزال موضع رضا الوزير ، وإن كان ليخشى أن يتحدث إليه فى شأن أخيه فهو يشهد مايجرى عليه وقد انطوت نفسه على أسف بالغ وأسى كظيم

. . كان قصارى جهد الحسن إذ حضر مجلس المطالبة — وهو يحضره غالباً بحكم موضعه من خدمة الوزير — أن يستقبل أخاه بنظرات التشجيع ، ثم يشيعه وهو خارج يجر قيوده بنظرات ملؤها الأسف والإشفاق

ولـكن الحسن فى ذلك اليوم كان على غير عادته ، يلوح كمن يسر خبراً مفرحاً تكاد تنطق به قسمات وجهه . ولعل أخاه على

(١) الطبرى : ج : ١١ — ص : ١٢

(٢) الفرج بعد الشدة ، ج ١ — ص : ٩٦

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية انقسمت الدول المتحالفة إلى كتلتين: إحداهما شرقية تتزعمها روسيا، والأخرى غربية تتزعمها أمريكا وانجلترا . ولما كانت روسيا تطمع دائما فى الاستيلاء على القسطنطينية والبوغازات لتتمكن من الوصول إلى البحر الأبيض ، ولما كان هذا لا يتأتى إلا على حساب تركيا فقد انضمت تركيا إلى المعسكر الغربى حرصا على سلامتها

ولـكن خوف تركيا على سلامتها يجب ألا يدفعها إلى الوقوف فى وجه الأمانى القومية المصرية؛ فهناك القاعدة البريطانية العسكرية فى قبرص وهى قريبة منها ، وقد أخذت إنجلترا قبرص من تركيا سنة ١٨٧٨ نظير تعهدها بالدفاع عن أراضيها

أبو الفتوح عطيفة

لبحث صلة

شغله الشاغل بنفسه استشف من ذلك شيئا ، فبادله نظرات خفية فيها الحيرة وفيها التساؤل . ولم يمتد هذا الوقف بالأخوين كثيراً ؛ فقد انتهز الحسن فرصة تغيب الوزير بدار حرمه وألقى إلى سليمان رقعة لطيفة استقرت فى حجره ، فراح يلمسها بأنامله فى اضطراب ثم بسط ثناياها وقرأ هذه العبارة بخط أخيه : « جاءنى الخبر الساعة من دارك أنك قد رزقت ابنا ، خلقا سويا ، وهو جسم بغير اسم . فما تحب أن يسمى ويكنى ؟ »

واتجه سليمان بنظره إلى ناحية أخيه ثم همس : عبيد الله . . أبو القاسم !

وسرت فى سليمان منذ هذه اللحظة روح جديدة ، وتداخله ما قرأ سرور وقوة نفس . وفى حلم خاطف من أحلام اليقظة رأى ابنه طفلا رضيعا ، ثم غلاماً ، ثم فتى يافعا ، ثم رجلا قوى الأسر كامل النفس موفور الحلم ، يتبوأ المناصب الخطيرة ، ويشد من أزر أبيه عماله ومجاهه

وعاد الوزير بعد حين إلى مجلسه فأمسك قليلا ، ثم أقبل بسيف الطالبة على سليمان ، ويريده أن يوقع على مارضى الإقرار به . فما أدهشه إلا أنه يرفض مرة ، ويستمهل أخرى ، ثم هو فيما بين ذلك يجادل ويدافع ، ويدلى بالحجة وراء الحجة . .

كان سليمان بحال من انبعاث النشاط وتجدد الأمل لم يخطر للوزير أن تكون . فانعقد لسانه من فرط البهتة ، وأقبل يرمق سليمان فى حيرة وإنكار ، ثم قال له :

— يا أبا أيوب ، ماورد عليك بعدى ؟ أرى عينيك ونفسك ووجهك بخلاف ماخلفتك منذ ساعة !

فأجاب سليمان : ماورد على شىء !

قال الوزير : والله لئن لم تصدقنى لأوقعن بك من العذاب مايستخرج منك الحق واضحا

فقال سليمان فى غير مبالاة : ماعندى ما أصدقك عنه

ونظر الوزير إلى الحسن بن سهل وقال : لتخبرنى بشأن أخيك

ولم يطل بالحسن التفكير ، فقد كان يعلم من عسف الوزير ومن زعارته أضعاف ما يتراءى عليه إلى سائر الناس : فأخبره بالحديث على وجهه حتى سكنت نفسه ، ثم قال :

— أتدرى لأى شىء قت أنا ؟

— قال : لا

— قال : كوتبت بأن ولدا ذكرا سويا قد ولد لى ، فدخلت فرأيته وأسميته باسم أبى ، وكنيته بأبى مروان !

وبرقت فى ذهن سليمان خاطرة ، لم يلبث معها أن نهض إلى موضع الوزير ، فأكب على يديه ورجليه ، وأقبل يهنئه بكلمات رقاق ، ويدعو له ولمولوده ، ثم قال :

« أيها الوزير ، هذا يوم مبارك ، وقد رزقت ابنا . فارحمنى وارع سالف خدمتى لك ، واجعل ابنى موسوماً بخدمة ابنك ، يسلم معه فى الكتب ويتعلمان وينشآن فى دولتك فيكون كاتباً له »

ولم يكن محمد بن عبد الملك ممن يطبيهم مثل هذا الحديث . . كان فى قلبه لدادة وقسوة وجنوح إلى العسف والانتقام ، مما جعل شعاره الذى لايخل به ، قولته المشهورة : «الرحمة خور فى الطبيعة» فلم يزد على أن تشظت عروق جبينه قسوة وحرداً ، ثم قال :

— يا أبا أيوب ، أعلى تجيز هذا ؟ وإياى تستغر وتخاتل ؟ قد حدثتك نفسك بأن ابنك هذا يبلغ المبالغ وتؤمل له الوزارة . . ورجوت فى نوائب الزمان وقلت : أرجو أن يحتاج ابنه إلى ابنى حتى يطلب منه الإحسان والفضل . فإنى أستحلفك بالله وأحرج عليك ، إن بلغ ابنك هذا المبلغ ، إلا وصيته إن جاءه ابنى لشىء من هذا ، ألا يحسن إليه !

وأعظم الحاضرون جميعاً هذا الخطاب المنيف ، وخيم على مجلس الطاغية صمت ثقيل لم يقطعه إلا كلمات خافتة متعثرة من سليمان ، تنصل بها مما اتهم به واعتذر مما قاله ، ثم دعا للوزير وصمت

وعاد سليمان بمقليل إلى ظلمات محبسه وهو يحدث نفسه أن هذا غاية البغى ، وأن ما تحدى به هذا الطاغية القدر بعباراته المريرة ، سيقع على وجه من الصحة يستخرج العبرة والعجب

على أنه عاد بعد أيام فقبل ماقرر عليه ، ورد عليه الواثق ضياعه وأقره على كتابة (إيتاخ)

* * *

ومرت سنين ، أصبح بعدها وليد سليمان — الذى اختار له أبوه وهو رهن الحبس عبيدالله اسماً ، وأبا القاسم كنية — أصبح فتى يافعا ، وشابا يتوسم فيه أهل الفراسة آيات النجابة وعلائم المجد ،

وطارت خلال ذلك لأبيه سليمان شهرة ، وتأثل له مجد عريض

ولما مات الخليفة الواثق تولى بعده أخوه المتوكل (بغير عهد منه) وكان يحمل أشد الضغينة لمحمد بن عبد الملك ، ويحفظه عليه ما كان يجبهه به من المهانة زمن أخيه ، ثم ماارامه يوم وفاة الواثق من تحويل الخلافة إلى ابن المتوفى صغير . فلم يشف غليل نفس المتوكل إلا أن وثب على محمد بن عبد الملك وثبة سلبه فيها أسباب نعمته ، ثم قتله بعد تنكيل وعذاب (فى صفر سنة ٢٣٣ هـ)

وعهد المتوكل فى مستهل نكبته لمحمد بن عبد الملك ، إلى سليمان بن وهب بمناظرته وإحصاء متاعه . فوافى داره فى كوكبة من الجند ، وهو لاهج اللسان بشكر الله على ما أولاه من نعمة ، وبلغه فى عدوه من رغبة

ولقى فى الدار ذلك الابن الصغير – أبامروان عبدالملك بن محمد ابن عبد الملك – يبكى ويتظلم . فاستدناه إليه وسأله عن قصته فقال :

– منعت كل مالى ، وأدخل ما أملك كله فى الإحصاء

فقال سليمان : لا بأس عليك . ثم أمر بأن يرد إليه كل ما كان له . وخر ساجداً لله على أن هيأ له أداء هذا الصنيع

وقص سليمان بعد حين على ابنه عبيد الله حديثه مع الوزير محمد بن عبد الملك ، فى يوم مولده ومولد أبى مروان ابن الوزير ، ثم قال لعبيد الله : يابنى ، بالله – إن وفعك الله والزمان ووضع ابنه حتى يحتاج إليك – إلا أحسنت إليه ! !

ووعى أبو القاسم عبيد الله بن سليمان عن أبيه هذا الحديث

* * *

ولما تولى المعتضد الخلافة استوزر عبيدالله بن سليمان بن وهب (فى رجب ٢٧٩ هـ) ؛ فكان من عادته أن يتخذ للمظالم مجلساً عاما . وفى يوم من هذه الأيام المشهودة دخل عليه فيمن دخلوا رجل رث الهيئة عليه ثياب غلاظ فعرض عليه رقعة . وقرأها الوزير قراءة متثاقل عنها ، ثم متفكر متعجب مما بها . ولما أتم استيعابها قال : نعم وكرامة ، أفعل ماقال أبى لا ماقال أبوك . كرر هذا القول ثلاثاً ثم قال له : عد إلى وقت العصر لأنظر فى أمرك

والتفت إلى خاصة صحبه فقال : إذا خلوت فذكرونى بحديث هذا لأخبركم منه بعجب عجيب . فتشوقت نفوس القوم إلى هذا الحديث

وواصل الوزير عمله يأمر وينهى بقية المجلس ثم قام فاستراح ، ودعا بالطعام فتناوله معه من حضر ، فلما بلغوا من ذلك حاجتهم أو كادوا قال الوزير : ما أراكم ذكرتمونى بحديث صاحب الرقعة ! ثم أقبل يسوق إليهم ماحدثه به أبوه حتى بلغ منهم العجب غايته

ثم قال متمماً حديثه : ولقد ضرب الدهر مضربه فما عرفت لأبى مروان خبراً ، حتى رأيته اليوم ، فكان ماشاهدتم

وأمر الوزير بإدخال أبى مروان عليه عند مقدمه . فلما قدم وهب له مالاً وخلع عليه وحمله ، ثم قلده ديوان البريد والخرائط ، فشغل هذا المنصب ثلاثين سنة أو أكثر

وكان يكتب إلى عبيد الله – عندما يكاتبه – وهو متقلد هذا الديوان : « عبد الوزير وخادمه ، عبد الملك بن محمد »

ولكن الوزير أراد أن يعفيه من هذه المخاطبة الذليلة فقال له : أنت ابن الوزير على كل حال ، ولا أحب أن تتعبد لى ، فاكتب اسمك فقط على الكتب

فقال أبو مروان : لا تسمح نفسى بهذا ، ولكنى أكتب (عبد الملك بن محمد خادم الوزير) . فقبل منه ذلك ، فكان يوقع بهذه العبارة إلى جميع الوزراء الذين كتب لهم حتى وافته منيته فى وزارة ابن الفرات الثالثة

وكان أبو مروان كالمترتب على هؤلاء الوزراء جميعاً بما عامله من ذلك عبيد الله ، فلزم هذا المنصب إلى أن مات [1]

وقد غلب عليه طوال هذه الفترة لقب أبى مروان الخرائطى ، حتى نسى الناس نسبه إلى ابن الزيات ، إلا من كان يلم بخاصة شأنه من جماعة الكتاب وغيرهم

محمود عزت عرفة

(١) عمل أبو مروان فى خدمة عدد من الوزراء أولهم عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ومنهم ابنه القاسم بن عبيد الله ، والعباس بن الحسن ، وعلى بن محمد بن الفرات ، ومحمد بن عبيد الله الخاقانى ، وعلى بن عيسى ابن الجراح ، وحامد بن العباس

وكانت وفاته فى وزارة ابن الفرات الثالثة فى الفترة بين ربيع الثانى سنة ٣١١ ، وربيع الثانى سنة ٣١٢ هـ .

٦ـ في بلاد الأحرار

للكاتب التركي الأستاذ آغا أغلو أحمد
للأستاذ أحمد مصطفى الخطيب

اجتماع — أقوال الخطباء

يالها من بلاد عجيبة ؟ ما أصعب نيل الحرية ؟ . . ليت شعرى هل أستطيع إلفة هذه الحياة ؟ . . لقد خيل لى الأمر فى البداية سهلا ميسورا . . ولكن هاهى ذى المصاعب تتوالى وتتفاقم فى النهاية . .

إن هناك رواسب فى قرارات النفوس تركتها عهود التاريخ الماضية من ورائها ، هى التى تستعبد الإنسان وتقيده أكثر من غيرها . .

وها إن الحال تتطلب الآن التخلص من نيرها وسلطانها دفعة واحدة . . . عليك أن لا تكذب ، أن لا تداهن ، أن تتحلى بالشجاعة ، أن تدافع عن الحق ، أن لا تعرف معنى التردد ، أن تقول الحق !

يالها من شروط صعبة ثقيلة ؟

كيف لايخشى جانب الرجل ذو البأس والقوة ؟ أو لايجهر له بالصدق ؟ أو لا يتحاشى التزلف إليه ؟

إن المرء لتضطرب أحشاؤه وترتعد فرائصه عند رؤيته أحد هؤلاء الطغاة العتاة ... ورأسه يدور ، ورقبته تنحنى ولسانه يباشر الحمد والثناء بغير إرادة منه !

ولا يمكن أن أنسى قط ما كان يحدث لصديق لى كلما أراد محادثة أحد الوزراء فى التليفون فقد كان يشحب لونه ، ويتلعثم لسانه ويأتى بحركات آلية مضحكة كما لو كان أمام الوزير نفسه بالذات لا أمام آلة صماء ... وقد شاهدته ذات مرة وهو يردد هذه العبارات فى ارتباك ظاهر وذعر شديد :

« ... نعم يا مولاى ... بفضل عطفكم السامى ... هفوة الصغير عفو الكبير ... »

ثم ألقى بالسماعة على الأرض بعنف وترامى على أحد المقاعد لاهثا وهو يقول :

— « آه ! ... كاد أن يقضى على ... لماذا كل هذا السخط والهياج ؟ .. كل ما فى الأمر أننى رفعت نهار أمس تقريرا إلى معاليه ذكرت فيه نبذة قصيرة عن سوء سلوك نجله فى النائرة وفساد أخلاقه ... يا ويلى منه ومن ثورته وغضبه ... ولكننى لحسن الحظ استطعت تهدئة الحالة ... آه ... »

ومع أننا كنا نسخر آنئذ من هذا الصديق المتخاذل الرعديد ونهزأ به إلا أننا فى الحق لم نكن لنختلف عنه من هذه الناحية إطلاقا

والآن كيف نستطيع استئصال شأفة هذه الملل التى نفذت إلى عظامنا وجرت مجرى الدم فى عروقنا ؟

لم يغمض لى جفن فى تلك الليلة من فرط تأثرى .. بل ظللت أدور فى غرفتى طول الليل ... وإذ طلعت تباشير الصبح ، سقطت على الأرض جثة هامدة من شدة الإعياء .

وحين فتحت عينى كانت الشمس فى متوع النهار ، وكان رأسى مثقلا بالصداع .. فأحسست بحاجة شديدة إلى استنشاق الهواء النقى

ألقيت بنفسى إلى الشارع .. وقصدت إلى حديقة تجاور البيت الذى أقطنه ... كان البستانيون هنا منهمكين فى رى الحديقة .. وكان ثمة على بعد قليل ينهض تمثال شامخ

اقتربت من التمثال وقرأت على أحد جوانب قاعدته هذه الكتابة :

« بطل بلاد الأحرار الأول »

ملت إلى أحد البستانيين وسألته عن اسم الحديقة وعن هوية البطل

— هل أنت غريب عن هذه البلاد ؟

— نعم ! .. جئت حديثا !

— يطلق على هذا المكان حديقة الحرية ... وذلك التمثال يمثل أول وطنى رفع لواء الحرية ضد الاستبداد .. فبلادنا تعبده وتقدسه

* * *

وفى هذه الأثناء كان الناس قد أخذوا يتوافدون على السكان زمرا زمرا ... ولم تمر سوى هنيهة حتى عقدت اجتماعات عديدة أيضا فى مختلف أنحاء الحديقة

اقتربت من أحد هذه الاجتماعات .. فرأيت فتى يافعا يلقى خطابا حماسيا مؤثرا ... أصغيت إليه فاذا هو ينتقد الحكومة ، ويحمل عليها حملة شعواء ، لأنها تقاعست من تنفيذ برنامجها بحذافيره ، وتركت عددا من الوطنيين فى الشوارع لا يجدون لأنفسهم عملا .. ولأن الإحصاءات الأخيرة دلت على وجود اثنين فى كل مائة أميين بين سكان المملكة ، وذلك يعد عارا كبيرا وصمة لا تمحى من جبين البلاد الحرة

اقتربت من جماعة ثانية ... فشاهدت رجلا فى منتصف العمر ، ضعيف البنية ، يتبسط فى شرح النقائص التى يلاحظها على الجيل الجديد ، ويؤاخذهم بشدة على انغماسهم فى المادية ، وانصرافهم عن المثل العليا ، وإغفالهم أمر الصلات الإنسانية والوطنية الرفيعة ، ويرى أن هذه حالة ستؤدى بهم لا محالة إلى أن تكون آثارهم هزيلة عديمة الحياة ، ورؤوسهم فارغة جوفاء ، وسجاياهم منحلة سائرة نحو التلاشى والاضمحلال

وإذ كان الخطيب يبدى مخاوفه الشديدة من مغبة الأمر ، كان لا يجد دواء لمداواة الوضع سوى المبادرة إلى إحداث تغيير شامل سريع فى نظم التعليم وأهدافه وخططه التى تسير عليها الدولة فى تنشئة الشبان وإعداد الجيل المقبل

أما فى الزمرة الثالثة فكان الخطيب سيدة بارعة الجمال تتحدث عن حقوق المرأة السياسية

وفهمت من أقوال السيدة الخطيبة أن النساء فى بلاد الأحرار يملكن نفس الحقوق التى يتمتع بها الرجال ، ولا يضن عليهن بسوى منصب رئاسة البلاد فقط

وقد كانت الخطيبة تشير إلى هذه الناحية فى انتقاداتها وتقول :

— « كيف يسوغ أن يضن بهذا المنصب على المرأة ، ثم لا يضن به على الابن الذى تلده ؟

إنهم يحدثوننا عن الخواص الفيزيولوجية .. وكأن الرجال جميعا فى منجاة عن النقائص الفيزيولوجية

اذهبوا إلى البيمارستانات ، إلى السجون ... ادرسوا إحصاءات الجرائم ، فلا أظن النتيجة ستكون بجانب الرجال

إن هذه المخاوف ليست سوى أعذار تافهة ، لا تخرج عن كونها بقايا أسلحة فاسدة استعملها الرجل منذ قديم الزمان لضمان استمرار سيطرته على النساء وبقاء استبداده بشؤونهن .. ولكن المرأة سوف تقضى على هذه البقية الباقية أيضا كما قضت من قبل على القيود الأصيلة نفسها وحطمتها إلى الأبد ، وذلك بفضل كفاحها المستمر ونضالها الدائم ، وجهادها الذى لا يفتر ولا يني

أجل سوف يعلم الرجال أن هذا الملجأ الأخير الذى يأوون إليه ، يجب أن تفتح أبوابه على مصاريعها أمام النساء نزولا عندما يقضى به الشرف والكرامة ... وأن وجود أقل تفاوت فى الحقوق بين الأفراد فى بلاد الأحرار ليس إلا وصمة عار فى جبين الحرية نفسها . وسوف تمحو المرأة هذه الشائبة مهما طالت بها الأيام أو بعدت أمامها الشقة ... »

* * *

كانت هنالك جماعات أخرى أيضا .. غير أنى كنت قد أحسست بالتعب ... فجلست فوق أحد الكراسى ، وشرعت أفكر فى جميع هذه المشاهد التى مرت أمامى ولم أكن قد رأيتها أو سمعت بها من قبل

وكان من أشد ما أثار عجبى أسلوب الخطباء ولهجتهم فى أثناء الكلام .. فقد كانوا يحصرون انتقاداتهم فى دائرة الوقائع والحوادث ، ويعنون عناية كبيرة بأن لا يظهر على حديثهم أى أثر للتذبذب أو الشكوك أو التردد ، مسبغين عليه ثوبا من عفة اللسان والوقار ، متنكبين عن استعمال أية كلمة نابية فيها حرج لعاطفة الشخص الذى يتصدون لانتقاده أو مس لكرامة من يشنون الحملات عليه ...

وقد تراءى لى فى الوقت نفسه من المعانى المتجلية فى عيون المستمعين ، وإمارات الجد اللائحة على وجوههم ، أنهم يستسيغون هذا النوع من النقد ويرتاحون له ويؤثرونه على سواه ، ويجدونه أضمن للفائدة وأبقى

وقد ذكرنى — بغير إرادة منى — ما شاهدته هنا من الصور الجديدة ، ما فى بلادى من أساليب النقد وفنون النقاش بالهول الإسفاف الشنيع والتهور الجامح ! .. وبالهول السباب

والشتائم المقذعة ! .. أقوال مضطربة لا رابط بينها ، إشارات غامضة ، إيماءات مثلقة مستهجنة .. ولطالما حدث أن السامعين والقارئين سدوا آذانهم ، وأغمضوا عيونهم تقززاً واستنكاراً ، ثم هبوا جميعاً يطالبون بوضع حد لمثل هذا الجو الموبوء الخانق ، فظهرت قوة طاغية كمت أفواه المتكلمين وعصبت عيون الشاخصين معاً بشكل محكم ، حتى عاد الناس فى هذه المرة يشعرون بالاختناق من الصمت والظلام

آه ! ما أعظم كارثة الإفراط والتفريط ! لقد اقتنعت الآن أن الحرية لا يمكن أن تنال بمجرد الرغبة فيها ، أو المطالبة بتحقيقها ... إن على الإنسان أن يربى شخصيته ، ويخلق من نفسه سيداً قبل كل شىء ...

— أجل ! أجل ! على الإنسان أن يكون سيداً !

— إلى من تتحدث ياعزيزى ؟

استدرت قليلا . . فوجدت أحد الضيوف الإخوان جالسا إلى جانبى ، يرمقنى بنظرات التعجب والحنان وأنا أحادث طيق الماثل أمامى . .

فقلت معتذراً :

— كنت غارقاً فى التفكير وأنا أقارن بين ما شاهدته اليوم وما وقع لى بالأمس فبدرت تلك الكلمات منى دون وعى . .

فابتسم ابتسامة رقيقة ثم قال :

— لا تحزن ! هذه مرحلة قد تخطاها كل واحد منا . .

— إذن أنتم هنا منذ وقت طويل . .

— أجل !

— أرجو أن تخبرونى : هل تعقد هذه الاجتماعات هنا كل يوم ؟

— كل يوم على وجه التقريب . . وتلك الساحة أشبه بمدرسة شعبية عامة يستطيع أى مواطن أن يطلع فيها على كل مايعنيه أمره من شؤون بلاده :

— يالها من عادة حسنة !

* * *

حضر الأساتذة فى اليوم التالى ثانية فقلت مخاطباً أحدهم :

— تنص المادة العاشرة على أن التساند دين وواجب الأداء ، فما معنى ذلك ؟

— أجل ! إن وجود التساند والتوازرة شرط أساسى فى بلاد الأحرار ... انظر إلى الأقطار غير الحرة تجد فيها الأفراد والأسر كلا مستقلا بنفسه عن غيره ، وليس بين ظهرانيهم من الصلات والروابط إلا النزر القليل . . ذلك لأن سيف الاستبداد المصلت على رؤوس هؤلاء لايفسح فى المجال لهم بالتآزر والتآلف وتكوين جبهة واحدة وكيان واحد . .

فالشرط الأساسى فى هذه الممالك التفرق والتخاذل ووقوف « المواطن » موقف الأجنبى من أخيه المواطن وعدم اهتمام بعضهم ببعض ...

وكما أنه من الميسور جدا سحق أفراد مجتمع كهذا وإفناؤه ، كذلك من السهولة بمكان ... أن يلعب المرء كما يشاء بهذا المجتمع نفسه كما لو كان خرقة بالية عديمة الدم والحياة ...

أما فى بلاد الأحرار ، فالشرط الأول هو الاتحاد والإيثار والألفة التامة بين الأفراد والاهتمام بما يحدث ويقع للمواطنين ... والكل هنا كحلقات الشبكة تتأثر من العطب الذى يصيب أى واحدة منها ...

وشؤون المجتمع ذاته لا تعتدل ولا تستقيم إلا إذا نجا أفراده جميعاً مما حاق بهم من الأخطار وأصابهم من الألم والاضطراب هنا يتحتم على كل فرد أن يكفل بصيانة حقوق غيره وشرفه وكرامته . . وليس فى معجم البلاد أقوال من قبيل : « إذا مت ظمآناً فلا نزل القطر » « عش لنفسك » « هل أنا الذى أستطيع إصلاح العالم ؟ »

— آه أيها الأستاذ ! إنى مصغ إليكم بكل كيانى وبكل لذة وشغف . . ولكن وا أسفاه . . إن جميع العادات التى ألفتها والتقاليد التى جريت عليها لهى على طرف نقيض مما تفضلتم على بشرحه وإيضاحه ... ليت شعرى كيف أستطيع أن أغير ما بنفسى ... إلهى ! ما أصعب أن يكون الإنسان حراً ...

— نعم يابنى ! ليست الحرية سهلة سائغة ... والعبودية أسهل منها ... فبينما العبد يسلم زمامه إلى غيره ليقوده كما يريد ويهوى نجد الحر مكلفا بالتفكير فى غيره ...

إن كل مواطن هنا مكلف بحب الغير ، ومعنى حب الغير

شلر

للكاتب الكبير توماس كارليل

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

— ٤ —

لقد ساعد جوته شلر في أموره المعاشية حتى قبل معرفته به وصداقته له، وذلك بتقديمه وترشيحه لخدمة ولاية (وايمر)

هو أن يتحمل المرء في سبيل غيره المتاعب والمشاق.. وبهذه الوسيلة وحدها يستطيع الواطن أن يصون نفسه وغيره معاً في وقت واحد

وحيث أنك قد سلكت طريقاً آخر حتى اليوم، فقد فتشت دائماً عن منافعك في خارج المجتمع، ولم تفكر إلا في نفسك ... وقد أدى بك ذلك إلى أنك زدت ضعفاً على ضعف وانحطاطاً على انحطاط وعشت حياة كلها قلق واضطراب..

أما وقد اعتزمت الآن أن تصبح حراً، فإنه يتحتم عليك أن تسعى لتهذيب نفسك وتتفقه في قوانين بلاد الأحرار وتعمل بمقتضاها ...

يجب عليك أن لا تبقى في معزل عن الاهتمام بمصير المجتمع الذي أنت أحد أفراده، بل عليك الالتفات إليه والحفل بحقوقه، ورعاية مصالحه وشرفه وكرامته، والتفكير في شؤون فقرائه وأطفاله، والانتساب إلى الجمعيات الخيرية التي تعنى ببذل المساعدة والمعونة لهؤلاء، والدفاع عن حقوقهم وبتعميم التعليم بينهم وغير ذلك من الأمور التي تكفل للجميع سعادتهم وهناءهم

وعليك أن تعلم أيضاً أنه ليس في هذه فرد واحد لا يتصل بمواطنيه الآخرين بأكثر من ست روابط وطنية واجتماعية في وقت واحد، وهذا هو السبب في أن مس الواحد منهم قيد شعرة يثير روابط الجميع، فيتحرك الكل وكأنهم شخص واحد ...

— يالك من مجتمع سعيد!

«يتبع» **أحمد مصطفى الخطيب**

وتوظيفه في أكاديمية بمرتب معين. وقد أدت هذه المساعدة التي جاءت لا على اعتبار عون؛ بل على اعتبار خدمة متقابلة إلى نتائج ذات أهمية دائمة. وقد ارتفع شلر إلى أوج عظمة الفن وهو مطمئن إلى عطف ورعاية ونصح صديق واحد بين مئات الأعداء. وهكذا — اعتماداً على هذا التأييد من قبل صديقه — استمر شلر في تقدمه ونجاحه غير ملتفت بيسرة أو يمنة، وكانت أيامه مخصصة جميعها لتأدية واجبه الأقدس

وقلما نجد إنساناً يمكن أن يساعد الآخر مثل هذه المساعدة وأن يفيده مثل هذه الفائدة، لأننا تعودنا — كما هو الحال في الواقع — أن يكون الإحسان مبتذلا فيه الثلة والفجيعة وقلة الذوق، لأن منشآتنا التي تقوم بمثل هذه الأعمال الخيرية هي مؤسسات تافهة ومضرة ولو أنها تتحصن بأسماء وألقاب. وأكثر من هذا إذا تفضل أحد أصدقائنا بمديد العون إلينا بإخلاص واهتمام، فهو لن يعمل على تفهم مثلما كلنا ومعرفة احتياجاتنا الحقيقية حتى يمكننا من السير قدماً في طريقنا، بل نراه على العكس من ذلك يسير ببساطة غريبة، ويريدنا أن نتير اتجاهنا ونتبع سبيله الذي اختاره لنفسه، وبذلك يجعل أمر إصلاحنا غير ممكن لأننا ولن نقدر على ذلك. وهكذا فالناس كل بعيد عن الآخر، وليس لأحد أن يساعده جاره، بل أن يتنبه من جاره كي يأمن شره ويتوق خطره ويتقي شواظ ناره وهو أمر صعب التحقيق

لقد تحدثنا سابقاً عن حماس شلر التام للأدب واعتبرنا ذلك وحده فضيلة توجته مدى الحياة. وأوضح دليل على حميته وغيرته للوصول إلى هذا الهدف في كل أدوار حياته، هو مواظبته على هذا السعي حتى أواخر حياته، بالرغم من إصابته بمرض عضال هد حيله وزعزع أركان قوته. ولم يتجل نبل سجيته في أية مرحلة من تاريخه، كما تجلت في هذه المرحلة — مرحلة المرض — فقد برزت البطولة غير المنظورة وهي في عنفوانها عندما كان العدو الأسود يمزقه من الداخل، ولكنه كان قادراً على إبعاده بعض الشيء. وعندنا شواهد طيبة على أن الخمس والعشرين سنة الأخيرة من حياته لم تخل لحظة واحدة من الألم الممض. على أنه مع كل ذلك لم يتشك قط ولم يتضجر أبداً. نلاحظ ذلك في مراسلته مع

جونه ، فتراه يشوشاً مشغولا ونادراً ما كان يتكلم عن أدوائه وأوصابه، وإذا ماتكلم عنها فكأنه شخص ثالث كأنه يعتز بأيامه التى بقيت فى حوزته . على أننا نستطيع أن نقول إن أعظم أعماله الشعرية تعود إلى هذه الفترة ؛ خصوصا إذا تذكرنا كم وكم من أضراب روسو من الأدباء والشعراء السطحيين [١] الذين تحللوا وذابوا أسى ، على الرغم من المواهب التى أوتوها — لأنهم أصيبوا بأمراض عصبية انتهت بكثير منهم إما إلى الجنون وإما إلى التعاسة المهلكة ، على أن شلر — وهو فى مثل هذه الأوضاع نفسها — كتب أعظم تأملاته وأحسن رواياته من (والنشتاين) إلى (ولیم تیل)

يقال إن هذه المحن لا يمكن تحملها إلا بالاعتماد على ركيزة الدين وحده ، ونحن نقول إن شلر كان له دينه الخاص . . وكان متعبدا وناسكا . . ولذا فهو لم يحتج فى آلامه الأرضية إلى دعامة سماوية تسنده ، بل اقتصر على الدعامة المثالية فى تحمل أوصابه فى مثل هذا العالم البائس المريض

هل لنا أن نتكلم عن سعادته ؟ وا أسفاه ماذا يعنى سمو العبقرية غير معدة قوية وشهية ممتازة ! . . أو لا تعنى حتى كلمة روح معنى المعدة فى بعض اللهجات السكاندنوفية ؟ أليس الجلوس فى راحة والتمتع بالشهيات والروائح العطرية والاستمتاع بالماضى والحاضر والمستقبل والإخلاد إلى الأحلام واليقظة بين الفينة والأخرى ما يدل على الطمأنينة والسرور وللحياة الماتعة والبهجة الدائمة والسعادة الكلية

إن الأمر بالنسبة إلى العبقرى المريض لا يتعدى كما يقول شلر (عالمه الذهبى المثالى الداخلى الذى ينخره الداء الباطنى ويستنزف جماله ويعصف به عصفا شديدا ، فلا يبقى منه إلا اليأس والقنوط والمرارة وإلا الحرمان الذى يلازمه حتى النهاية المرعبة) ولم يكتف شلر بهذا بل نراه يستطرد فى ذلك فيقول (الويل لمن تضطرب إرادته وتخور عزيمته وتنحنى رقبته أمام نير هذا العدو الجديد ! لأن البطالة والخيال المشوش يسيطر عليه وتطلق سراح ألوف الشياطين لتضايقه وتعذبه حتى تجننه . وا أسفاه ! إن عبودية الجزائر [٢] تعتبر حرية إذا قيست إلى الآلام التى يعانيها العبقرى المريض الذى أجهد قلبه ورزح تحت كابوس الآلام . فمسكنه الطينى يصبح سجنا مظلما كما تصبح أعصابه منازل للقرف والعذاب ، وروحه موئلا للعزلة السوداوية ، ويظل فريسة لأشباح القنوط ، ويغدو متحجرا من جراء ازدياد الألم ، محكوما عليه بالموت فى قيد الحياة وبالشعور بالوجود الأليم ، لا حول له ولا قوة ولا حتى شعور بها ، ومن الفزع أن يضع الموت أو فقدان الوعى التام حدا لمثل هذه التعاسة [٣]) ومهما تكن الحالة مثيرة فعلينا أن ننظر إليها نظرة عطف لا نظرة استخفاف وتجرد . وعلى كل حال نقول إنه من العار على العبقرى أن يتشكى . أليس فى نفسه نور من السماء ليست عروش الأرض بهائها إلا ظلاما بالقياس إليه والمقارنة به ؟ والرأس الذى يلبس مثل هذا التاج يأبى أن يرقد بقلق . إذا كان هذا النور السماوى هو الذى أعان سيمون السورى [٤] على أن يصمد فى أعلى عمود التعذيب دون أن يتزحزح إيمانه قيد أنملة ، فكم بالأحرى أن يكون الأمر كذلك إذا كان هـــذا النور مباشرا ووضيئا صافيا وخالصا من كل شائبة ؟ وإلا فدع حكيم العصر يتألم من الأوصاب والرزايا التافهة فى صبر وأناة ؛ أو يعترف بأن المتصبين القدامى كانوا أصدق منه تعبدا وأصفى سريرة وأرهف إحساسا . وقد يحدث بين الحين والآخر أن يعرض فى بعض المجالس الأدبية والنوادى الثقافية حديث السعادة ، فينبرى السادة المتناقشون شرابهم ليتكلموا فى السعادة وعما إذا كانت هى الغاية الرئيسية من حياة الإنسان ، وأغلبهم يؤيد رأى بوب القائل بأن السعادة هى غرض وجودنا وهدفه ، ولكن المعارضة لا تكتفى بهذا بل تريد أن تفهم لماذا تكون الطبقة الجاهلة أسعد حالا من الصفوة المختارة . ومع ذلك فنحن لا نريد أن نستبدل أما كتابهم ؛ أليس مكتوبا أن زيادة المعرفة زيادة فى الحزن ؟ أليس مكتوبا قولهم تعلموا الحكمة واستزيدوا من العرفان لأن فى

(١) هذا رأى الكاتب الكبير وليس لنا إلا أن ننقله بأمانة المترجم

(٧) هى بلاد الجزائر المعروفة وقد كانت آنئذ مسرحا للرق النخاسة

(٣) حياة شلر ص ٨٠ ،

(٤) شهيد من شهداء المسيحيا الأول

هذا بداية الخير ؟ فإذا كان تعليمكم صحيحا فلماذا نشق فى النضال بكل قوتنا إذا لم يكن ذلك فى سبيل الحصول على السعادة والنجاة من الآلام والأوصاب ؟

وهكذا تظل السعادة بين الأخذ والرد بين هؤلاء الناطقة من دون الوصول إلى نتيجة قطعية مقنعة، وهذا ما يجعلنا مضطرين إلى تركها على ما هى عليه من ارتباك وتخبط . ولكن هناك بعض النفوس الجدية التى لا تعتبر الحقيقة لهوا ولعبا بل (ماهية) الحياة. وهم لا يعتبرون الأشياء الظاهرية الجامدة إلا اعتبارا تافها ، بل يهمهم قبل كل شئ (النداء الداخلى) هذا النداء الذى إذا توقف فلن يفيده حتى استحسان الملايين من الناس . فإذا ما عثر هؤلاء على الحق الذى يحثون للاهتداء إليه بكل تشوق وبكل قلق سعوا إليه جاهدين بغض النظر عن الخير والشر وأصبح الهدف الذى يسعى إليه الإنسان

إن أصل هذه القضية ناشئ — كما هو الحال فى كثير من القضايا تحت الشمس — من الاضطراب اللغوى ، فإذا كانت السعادة تعنى اليسر فى العيش ، فمن حق كل شئ أن يسعى لتحقيق مثل هذا اليسر ، ومن جهة أخرى ، فإذا عنينا بالسعادة والإحساسات السارة ، كما هو رأى الكثيرين من الناس ، فعندئذ يظهر عندنا شك فى القضية من الأساس . أما إذا تبصرنا بدقة فى الحقيقة القائلة بأن فى الإنسان شيئا أرفع من حب السرور ، بأى معنى كان هذا السرور ، فإننا نجد أن المعلمين والمبشرين كانوا يعيرون هذه المسألة ما تستحقه من التفات بالغ منذ بداية نشوء العالم ، وسيستمر ذلك إلى نهايته ، إن كانت له نهاية . وطبيعى ألا يخلو عصرنا الحاضر من الأشخاص الذين يصرون على هذه الحقيقة ويؤكدونها . وماذا يغفل القارئ بهذه الجملة الصغيرة من (رسائل شلر الجمالية) وهى تخص تلك المسألة القديمة ومسألة تحسين الأنواع ؟ انظر إليه كيف يعالجها بهذا الأسلوب الطريف إذ يقول « إن أول المكاسب التى أحرزها البشر فى مملكة الروح هو الخوف والقلق ، وهما نتيجتان من نتائج العقل وليس الإحساس ؛ ولكن العقل أخطأ فى هدفه كما أخطأ فى طريقة التطبيق . وثمار هذه الشجرة بالذات هى السعادة سواء كان ذلك بالنسبة لليوم العابر أو لكل الحياة ، وهذا لن يزيدهم ذرة من الاحترام مدى الأبد . فاستمرار الوجود اللانهائى والسعادة لغرض الوجود والسعادة بحد ذاتها يخصان الشهوة وحدها ، وهى عبارة عن كفاح الحيوانية التائقة إلى الخلود . وهكذا بعون أن يحرز هذا الإنسان أى شئ لإكمال رجولته الذهنية نتيجة هذا المجهود العقلى ، نراه يخسر حيوانيته السعيدة ، فيفقد الحاضر فى محاولته اليائسة لكسب المستقبل اللامحدود الذى لم يقصد لذاته بل الذى قصد هو الحاضر إليه بذاته (٥)

والظاهرة الوحيدة التى يتميز بها عصرنا هذا هو السعى فى سبيل الخير الحسى والسرور الشخصى فى أى شكل كان ، وهى الغرض الذى يسيطر على عمل الإنسان وواجبه ، وإذا كان فى طليعة الإنسانية عبيد الشهوة والشهية من أمثال أبيقور ، فإن هذه الإنسانية لن تعدم بعض الرجال ذوى الرسائل العليا لتحقيق القيمة الروحية للإنسان ، وأن هذه القيمة ليست ميزاناً تقاس فيه الحوافز المختلفة؛ بل إن الروح شئ حى ذو قوة وحرية وهى تقوم بخدمة الحق والفضيلة والخير . ولكن الأوضاع فى الظروف الحاضرة تقاس بمقياس أقرب ما يكون إلى التعقل والرزانة . فمن جهة نرى أن الطريق المادى الذى يقوم بتعبيده كثير من الأخلاقيين ، ومن جهة أخرى نرى الاضطراب سائدا فى صفوف الجماهير فى هذا السجن — الذى ندعوه بسجن الحياة — وزعماء هذه الجماهير يحملون من النقمة له هذه الأيام ، والبتاميون(٦) يمثلون المجلس الروحانى الأعلى لهذه الطائفة التى دينها السعى لملء بطونها وحسب ، وبالرغم من أننا لا نملك موهبة التنبؤ ، إلا أننا يمكن أن نقول إن هذه النار التى تتأجج فى صدور الكثيرين من الناس ذوى النفوس المخلصة ستنتهى بمعركة حامية الوطيس حاسمة المصير ، ومحور هذه المعركة سيكون بين العقل والمادة ؛ ولكننا فى هذا الذى نقوله خرجنا عن سواء السبيل . وسنعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى إذا سمح لنا الوقت بذلك

سلامية يوسف عبد المسيح ثروت

(٥) الرسائل الجمالية لشلر ص ٢٤٥
(٦) هم أتباع العالم الاقتصادى الانجليزى بنتام

ديوان مجد الاسلام

نظم الشاعر المرحوم أحمد محرم
وتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

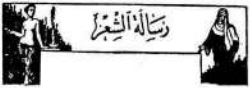
تابع غزوة بدر

تلك المآثم ، ما تزال تمالها … تمشى الوئيد[1] بها المطايا الطلح[2]
أخفوا السلاح ، وقد أغار لأخذهم … جند (بآيات الكتاب) مسلح
فيهم من الأنصار كل مشيع … يمضى إذا نكص اليراع الزمح[3]
كانوا على عهد مضى ، فأتاه … لإلهم عهد أبر وأسمح[4]
(سعد) يهيب بهم و (سعد) قائم … تحت اللواء بسيفه يتوشح[5]
ما أصدق (المقداد) حين يقولها … حرى ، وبعض القول نار تلفح[6]
إنا وراءك يا (محمد) نبتغى … ما الله يعطى المتقين ، ويمنح
لسنا بقوم أخيك (موسى) إذ أبوا … إلا القعود ، وسية ما تضرح[7]
هذا (على) فى اللواء و(مصعب) … والنصر فى عطفيهما يترنح[8]
حلا لوائيه ، فلو صدح الهدى … فى مشهد جلل ، لأقبل يصدح
هذا (رسول الله) من يك مؤمنا … فإليه ، أن طريده لا يفلح
الموت فى يده ، وعند لوائه … ريح الجنان لمن دنا يستروح[9]
إن يملك الماء العدو[10] فقد همى … سيل جرى شؤبوبه يتبطح[11]
هى دعوة (الهادى الأمين) ونفحة … ممن يسوق الغيث فيما ينفح
مكر (الحباب[12]) بهم فتور ماءهم … والمكر فى بعض المواطن أنجح
نبى ء (عمير[13]) سراة قومك إنهم … زعموا الزاعم ، والحقائق أروح
نبئهم الخبر اليقين ، وصف لهم … بأس الألى جمعوا لهم وتبجحوا
واذكر صبيك[14] إذ يقول (محمد) … إرجع (عمير) فدمعه يتسجح
أذن (النبى) له فأشرق وجهه … والقدرى وهو الأحم الأكفح[15]
بطل من الفتيان ، يحمل فى الوغى … ما يحمل البطل الضليع فيرزح[16]
قل يا (حكيم[17]) فتا (عتبة) ربية … مولى العشيرة للمهم يرشح

(١) الئيد فى بطء
(٢) طلحت المطايا أعيت
(٣) اليراع الجبان والزمح الضعيف
(٤) خرج الأنصار فى هذه الغزوة لأول مرة لأنهم حين بايعوا النبى بالعقبة قالوا له : إنا براء من ضمانك — أى مناصرتك ، إلا أن تكون فى دارنا ، فلما كانت غزوة بدر أراد معرفة ما عندهم فقال سعد بن معاذ سيد الأوس كما قال المقداد بن عمرو الملقب بابن الأسود : يا رسول الله إمض لما أمرك الله ، فنحن معك ، لسنا نقول لك ما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكنا نقاتل من يمينك ومن شمالك وبين يديك وخلفك إلى آخر ما قال
(٥) الأول سعد بن عبادة ، كان يأتى دور الأنصار يحضهم على الخروج وقد لدغته — رضى الله عنه — حية فتخلف ، قال النبى لئن كان لم يشهدها (الغزوة) لقد كان عليها حريصا ، ثم ضرب له بسهمه وآجره ، والثانى سعد بن معاذ ، وتوشح بسيفه تقلد به
(٦) لفحته النار أحرقته
(٧) ضرح الشئ دفعه ونحاه
(٨) عقد النبى صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه إلى مصعب بن عمير ، وكان أمامه رايتان سوداوان إحداهما مع على ابن أبى طالب ، والثانية مع سعد بن معاذ ، وقيل الحباب بن المنذر ، ولبس النبى درعه (ذات الفضول) وتقلد سيفه (العضب)

(٩) استروح الشئ شمه
(١٠) سبق المشركون المسلمين الى الماء ، فأتى الأولون هناء ، ودعا النبى فانهمرت السماء فشربوا واختزنوا واغتسلوا وصلوا ، وصلح موطئ الجيش ، وكانت الأرض هشة تسوخ فيها الأقدام
(١١) تبطح السيل اتسع فى البطحاء وسال عريضا
(١٢) الحباب بن المنذر ، أشار على النبى أن ينزل بالجيش عند أقرب ماء من القوم ففعل ، وأمر بالقلب فغورت ، وبنى حوضا على القليب الذى نزل عليه كما رأى الحباب فعطش الكفار عطشا شديدا ، وذهبت أوامهم
(١٣) عمير بن وهب الجمحى (أسلم بعد ذلك) أرسلته قريش يرى كم عدد المسلمين، فجال بفرسه حول المعسكر وعاد يقول : يامعشر قريش ، البلايا تحمل المنايا ، ورجال يثرب تحمل الموت الناقع ، ألا ترونهم خرسا لا يتكلمون ؟ يتلمظون تلمظ الأفاعى ، لا يرجون أن ينقلبوا الى أهليهم ، زرق العيون ، كأنهم الحصى تحت الحجف ، ليس لهم منعة إلا سيوفهم
(١٤) عمير بن أبى وقاص ، أخو سعد بن أبى وقاص ، خرج للغزو مع المسلمين وكان عمره ست عشرة سنة ، فأمر النبى برده لصغر سنه فبكى فأذن له فى القتال
(١٥) الأحم والأكفح ، كلاهما بمعنى الأسود
(١٦) الضليع القوى الشديد الأضلاع ، والرازح الهالك هزالا
(١٧) حكيم بن حزام ، لما سمع مقالة عمير بن وهب أتى عتبة بن ربيعة وقال : ياأبا الوليد ، انك كبير قريش وسيدها المطاع ، هل لك أن تذكر بخير الى آخر الدهر ؟ فقال وما ذاك يا حكيم ؟ قال ترجع بالناس ، وعليك أن تحمل دم الحضرمى الذى قتله عبد الله بن واقد ، فى سرية ابن جحش ، وتعوض على الناس ما أصاب المسلمون من التجارة ، فانك ذو مال كثير ، وقريش لا تريد سوى ذلك ، فقبل وركب جملا له أحمر طاف به على القوم وهو يقول : يا قوم أطيعونى ، على دم الحضرمى ، وما أخذ من العير ، أنشدكم الله فى الوجوه التى تضئ ضياء المصابيح (يعنى وجوههم) أن تجعلوها أندادا لهذه الوجوه التى كأنها عيون الحيات (يعنى وجوه الأنصار) يا قوم اعصبوها اليوم برأسى ، وقولوا جبن عتبة !

يليم … إبراهيم عبد اللطيف نعيم



فرحة الشعر في موكب التحرير

للأستاذ علي متولي صلاح

دعوا الشعر في أفراحه يترنم   فقد عاش دهراً في الأسى يتألم
طوته يد كانت على الناس نقمة   وكانت جحيماً لا يبر ويرحم
وكانت على الأحرار في مصر محنة   تبدد من أنفاسهم وتكمم
فني كل ما خور سلام ونعمة   وفي كل دار للأعزة مأتم
وكل أبي راسف في إساره   تقيده الأغلال والنار والدم
وكل مهين العرض .. ملق بعرضه   على قدم الطاغي .. يعز ويكرم
وهانت خلال البر ، وارتقع الخنا   وراجت لركب الشر سوق وأسهم
خلائق من وادي الضلال معينها   ومن نفثة الشيطان تسق وتلهم..

* * *

سقى الله يوماً كان في مصر فيصلا   يحف بجنبيه رضاً وتبسم
أطل على مصر فأشرق ثغرها   وقد ظل دهراً ثغرها يتجهم
وألقى برأس البغي في اليم .. قائلا   مهادك هذا .. والمصير جهنم
وزلزل ما أرسى الطغاة وهيأوا   ودمر ما كانوا أعدوا وقدموا
فطاحوا وطاحت شاهقات أثيمة   وراحوا .. وراحت خلفهم تتهدم

* * *

وهبت على الوادي الكريم نسائم   تسوق إليه المكرمات وتنعم
أظلت شقاق النيل منها برحمة   أفاء لها الحيرى .. وفي ظلها ارتموا
تساووا فما فيهم مسود وسيد   وعزوا فما فيهم سراة وخدم
وذلت أنوف كان صعباً قيادها   ولانت خدود كان فيها تورم

* * *

فسيري إذن يا مصر في موكب العلا   ولا تتواني ... إن دهرك يبسم
خذي بسبيل المجد وامضي لترل   أرائكه يا مصر شهب وأنجم
تهيأت الأسباب للمجد كله   ولم يبق دون المجد إلا التقدم
عمادك فتيان أسود ضراغم   فما لهمو نار .. وأقوالهم دم ...

علي متولي صلاح

وثبة الجيش

للأستاذ عبد العزيز مطر

من ذلك البطل الثوار يتبعه
جيش من النجب الأبطال جرار ؟
من ذلك الحر ؟ قد قضت مضاجعه !
إذ قيل ليس بوادي النيل أحرار !!
من قال للظلم (قف من أنت ؟) يقمعه
فاهتز من خشية القدام جبار !!
من فجر النور إذ عزت مطالعه ؟!
من حطم القيد إذ للقيد أنصار ؟!
هذا هو السيف ، أيدي الله تشرعه
على الطغاة ، وسيف الله بتار !
هذا نجيب ، لواء الله ، يرفعه
يعلى به الحق ، إن الحق قهار

* * *

في مطلع الفجر هب الليث محتدما   غضبان ، يزأر في النوام أن يثبوا
هانت كرامتكم ، ضاعت مهابتكم   فالعرض منتهك ، والمال منتهب
أرواحكم أزهقت من بني شرذمة   لا تعرف الحكم إلا أنه سلب
جاءوا بأسلحة للجيش فاسدة   ترتد ضاربة قلب الألى ضربوا
زادت مفاسدهم ، فاشت مساوئهم   طالت علينا السنون السود والنوب

* * *

كانت مقالته في الأفق سارية   وجنده النجب الأبطال قد وثبوا
فسددوا ضربة للظلم قاصمة   ترنح الظلم منها وهو ينتحب
فلن ترى الأرض إقطاعا ومفسدة   لن يسكب الدمع فيها مرهق تعب
لن ينهب الزرع منها متخم جشع   يرضى هواه ليردي غيره السغب
فثورة العدل والإنصاف منطقها   لا يحرم الخير من يمسهم النصب

* * *

تقبل الترب بالإعجاب ثورتنا ... واستبشر الشرق بل تاهت بها العرب
ولن أصور ما بالنيل من طرب   فكل شيء به قد هزه الطرب

عبد العزيز مطر

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

حقوق المؤلفين

أثار الأستاذ الدكتور طه حسين في مقاله بالأهرام في الأسبوع الماضي موضوع حقوق المؤلفين ، وبين أوجه الصراع بين المؤلف والناشر

ولاشك أن الذين عانوا طرفا من هذا الصراع ، يذكرون مدى الجهد الذي تكبدوه من معاملة الناشرين ، أو على الأصح مع بعض الناشرين

فالمؤلف محتاج إلى أن يجد من أدبه مورداً ييسر له الحياة كما تيسر لرجال الصحافة والموسيقى والغناء . .

والمؤلف ، إلى ذلك هو أقل زملائه من رجال الفكر والفن مكانا ، فلم يعد الآن للأدب الرفيع وللانتاج الخصيب مكان مرموق بعد أن غلبت الألوان الصحفية والمكشوفة والخفيفة ، وارتفعت أجورها وتقديراتها ، حتى أصبح من غير المعقول أن يعيش أديب من سن قلمه

وإني لأذكر كلمة قالها لي المرحوم الدكتور زكي مبارك سنة ١٩٣٥ وكنت عولت على أن أنقطع للأدب . . قال « إن أديباما في مصر لا يستطيع أن يعيش من قلمه ، ولو كان طه حسين أو الزيات . وإن كل أديب مهما كان من القوة أو الشهرة محتاج إلى عمل آخر إلى جوار أدبه يعيش به ، وهو إما أن يكون الصحافة أو التدريس »

والحق أن أديبا من الأدباء لم يستطع بالأدب وحده أن يكون قويا من الناحية المادية بحيث يستطيع أن ينصرف بالأدب عن غيره ، أو يقتصر عليه

لقد استطاعت الصحافة أن تضع الأدب في الدرجة الثانية منها ، وأن تغلب عليه السياسة وطرائف الأخبار والصور ، ثم جاءت الإذاعة بألوانها المختلفة ، التي تقصد إلى الترفيه والتسلية ، قبل الثقافة والتوجيه ، فأحلت الأدب درجة أخرى فأصبح في الدرجة الثالثة . .

وجاء اليوم الذي أصبح الأدب فيه غذاء فئة قليلة من الصفوة المختارة التي تحبه ، لأنه فن رفيع ، أولئك الذين يتسع وقتهم له . .

وكذلك العلم اليوم ، وكذلك كل فنون التأليف — ماعدا التأليف المدرسي والجامعي — قراءه قلة ، ومن ثم فقد حق أن يكون هناك قانون يحفظ لهؤلاء العلماء والأدباء حقوقهم ، ويرد عنهم طغيان الناشر الذي قلما يكون عالما بتلك الكنوز التي توضع بين يديه لإخراجها للناس ، وهو لا يقدرها من هذه الناحية أبداً وإنما يقدر مدى إعجاب القراء لها ، فهو يتخير منها الأنواع التي يراها صالحة للتجارة فحسب

ومن قبل ، مات أدباء ، فلم يجد أهلوهم ولا أبناؤهم من ورائهم شيئا . . كانت أسماء هؤلاء الأدباء تملأ ما بين المشرق والمغرب ، وكانت مؤلفاتهم المتعددة في كل الأيدي ، ومع ذلك فلم يكن من وراء هذه المؤلفات مال كثير أو قليل يمكن أن يجده أبناء هذا الأديب ، لقد باع المؤلف الضخم الاسم ، الفقير ، حق مؤلفاته للناشرين لقاء مبالغ تافهة قليلة كسب الناشر عشرات أضعافها بل لا أغلو إذا قلت مئات الأضعاف

وقد أشار الدكتور طه حسين إلى المؤتمر الذي عقد في جنيف في أغسطس الماضي ، ليضع حق المؤلف في صورة اتفاق دولي وإن كانت مصر لن تستطيع أن تشترك في هذا الاتفاق الدولي ، إلا إذا أصدرت قوانين حماية المؤلف في مصر أولا . . وهناك قانون تنظيم حق المؤلف في مجلس الشيوخ ، وهناك آخر في مجلس النواب ، نامنا منذ أمد في العهد البائد . وفي إشراقة العهد الجديد الذي يضع الأسس الصالحة لغد أفضل ، نرجو أن يتحقق للمؤلف وضعا كريما يمكنه من أن يتفرغ للانتاج ، ويتجرد للعمل الخالد الباقي

بدء الموسم الأدبي

من الأسئلة التي ترددها دوائر الأدب : هل العام الدراسي هو عام الإنتاج الأدبي ، أم العكس هو الصحيح ؟ وهو أن موسم

الأدب يبدأ عندما تنتهي الدراسة . والحق أن الصيف لم يكن حتى الآن — في مصر — موسماً أدبياً ، فلابد أن يكون بدء الوسم الدراسي ، وإقبال الخريف ، هو علامة الفصل الذي تنشط فيه دوائر الأدب والفن .. وبعد قليل ستحفل صفحات الجرائد بباب « محاضرات اليوم »

ونحن نتوقع أن يكون الوسم هذا العام خصباً ، وأن أصوات المفكرين ستتداعى إلى الإصلاح والإنشاء والبحث ، في حرية وقوة وطلاقة ، وقد أظلها العهد الجديد بعد أن رفع من كرامة « الإنسانية » .. هذه الكرامة التي سيظهر أثرها في انطباعات نفوس الأدباء والمفكرين ، ثم في إنتاجهم !

أدب الثورة

ولن يتأخر طويلا أدب الثورة .. فلا شك أن الحرية والكرامة .. التي هي طابع العهد الجديد ستعطي للفكر مشاعر جديدة .. ستملأ نفسه بالقوة . إن كل مشروع ، وكل إنتاج ، وكل عمل صالح يدرس الآن بعناية ، وتتلقفه أيد أمينة ، ونفوس مليئة بالحيوية .. تريد أن تنشر الضياء على كل مرفق من مرافق الحياة .. فما بالك بقلب الحياة : الأدب والفكر

لقد انتقلت مصر في لحظات من الهزل البغيض إلى الجد الصارم ! هذا طابع العهد .. وهو طابع العهد

العمل ، الوقت ، المشاريع ، الإصلاح ، التربية ، التنقية !

سوف تختفي من النماذج الإنسانية صورة « المتوا كل » و « اللص » و « الطفاي » و « الأثيم »

وسوف تختفي « المرأة » الجاسوسة ، أو السيطرة على الزعماء

وسوف تختفي صورة « الخادم » الذي يملك من السلطان أكثر ما يملك الوزير !

ستكون النماذج الإنسانية الجديدة ، قوية ، حية ، عليها سيماء النقاء والطهر ، ستكون أهداف الأدب الجديد عالية ، في سبيل الوطن والحق والمثل العليا

لقد خلفت مصر وراءها روح الجمود ، واليأس ، والحقد ، والصراع على المطامع ، وبدأت صفحة جديدة من الوحدة ، والتعالي من الرغبات الشخصية ، وسيمتد هذا الأثر ليس إلى الأدب والفكر وحده ، ولكن .. إلى المسرح ، والصحافة ، والإذاعة ، والنحت والموسيقى ، ونحن نرى البواكير هذه الأيام في مسرحيات جديدة قد اختفت منها تلك التراثر الهدهدة ، والناورات السخيفة ، والثروات الطائشة ، ونرى قصائد وأغاني فيها روح الثورة ..

ونأمل أن نرى على الأيام فنا أقوى .. يتجه إلى السماء !

الأدب في سوريا

في مجلة « الوعي » .. هذه المجلة الأدبية الإسلامية الأنيقة ، في عددها الجديد الذي صدر هذا الأسبوع كلمة عن الأدب في سوريا بمناسبة العهد الجديد ، رأيت أن أنقلها تسجيلا لأثر العهد الجديد هناك ، فقد كتب الأستاذ زكي المحاسني يقول « في سورية الحاضرة ، أدباء وشعراء وأهل نقد ، وفنون ، بعضهم جامعيون وبعضهم مدرسون ، وبعضهم من أهل المجمع العلمي السوري ، ويعدون من أهل الصحافة أو الوظائف ، وفيهم أشياخ وشبان ، وبعض نسوة وفتيات ، ويغلب على شيوخ هذا الأدب التوحد والتفرد والتحجر ، وليسوا كثيرا ، فهم أفراد معدودون ، لكل منهم مذهب في الحياة الخاصة والعامة ، غير أنهم يتجهمون « لأدب الشباب » إذ يؤثرون أن يكون « أدب الشباب » قويا نزاعا إلى اللغة الحرة والبيان الراق

من أولئك الشيوخ شعراء ، لم يستطع شعرهم بعد شوقي وحافظ ومطران أن يحلق في أجواء هؤلاء الخالدين . أما أهل النثر منهم فنطوون على أنفسهم بنفس الواحد منهم عن أدبه بين السنة والسنة بمقال ، ولم ينشطوا إلا قليلا إلى نشر المؤلفات النافعة ، ولكن أولئك الجدد المنطلقين من قيود الماضي ، وهم رعيل الكهول والشباب يأخذون في «بناء» أدب سوري جديد يرجى نفعه ، وإن لم لنزعات نحو أدب الشعب قد تكون صالحة لزماننا هذا أكثر من صلاح أدب الأبراج العاجية » اهـ

إن سوريا هي الأخرى قد انتقلت إلى الجد الصارم وكذلك لبنان

ولذا فنحن نتوقع للأدب العربي جميعا فجرا جديدا

أنور الجندي



« الله وردى »

حضرة الأستاذ رئيس تحرير مجلة « الرسالة »

قرأت فى الرسالة الغراء ما كتبه الأستاذ عبد اللطيف محمود الصعيدى عن (ميشيل الله وردى) ناظم (وحى البردة) ويقول الأستاذ عبد السلام إن (اسم الناظم أشبه بأسماء المسيحيين) .

وعائلة الله وردى هى عائلة أرمنية مسيحية كاثوليكية لها صلة قريبة بعائلة المرحوم يعقوب أرتين باشا ابن المرحوم أرتين بك الذى كان من وزراء محمد على الكبير

علمت ذلك من المرحومة كريمة أرتين باشا عندما أرادت أن توقف أملاكها قبل وفاتها، إذ استدعتنى ذات يوم وطلبت منى أن أتولى تحرير مشروع عقد الوقف وطلبت النص فيه على تعيين حصة لإحدى السيدات سمتها باسم (الله وردى) فسألتها ومن هى هذه السيدة ؟ فقالت إنها سيدة مقيمة فى باريس ومن ذوى قرابة والدتها (بنت عمة أو بنت خالة) على ما أذكر . فهل هذا الشاعر ميشيل الله (وردى) ينتسب إلى هذه العائلة ؟ الله أعلم فليسأل !

عزيز خانكى

إلى الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

عندى سؤال تحيرنى الإجابة عنه ، وقد رأيت أن أعرضه على صفحات الرسالة لعل الأستاذ الدكتور الأهوانى أو أحد زملائه من أساتذة علم النفس يتفضلون بالإجابة عنه فى وقت سريع

وخلاصة ما أود أن أقوله : أنى مدرس أديب ، أقرأ جيدا ، وأكتب جيدا ، معبرا عن خواطرى فى دقة ووضوح ، وقد أخذت أشعر منذ عام بحدث غريب يقطع على متعة القراءة ؛ فما أكاد أطالع بضع صفحات من كتاب أو صحيفة ، حتى يأخذنى النوم ويقع الكتاب من يدى، مع ما أشعر به من وضوح المعنى المقروء والتمتع به تمتعا زائدا ، صباحا كان ذلك أو مساء . فمن يرشدنى إلى التخلص من هذا النوم الفاجئ ، مع أنى أنام يوميا مدة طويلة تناسب سنى ، وتطابق الوجهة الصحية . أرجو أن تحمل لى الرسالة ردا سريعا فى وقت قريب

(مسائل)

عتاب

نشر صديقنا الشاعر الأستاذ كمال نشأت مقطوعة جميلة بعنوان « حياة جديدة » بمجلة الأديب اللبنانية عدد أكتوبر لم تستسغ منها قوله :

أمشى وفى عينى (آلام المسيح على الصليب)

فإن الله يقول « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم »

يا أخى :

نحن مسلمون فى بلد مسلم ! والفن ينبع من المجتمع، ورسالته حتما للمجتمع ، وليس الفن للفن كما يزعمون ...

عبد المنعم أبو سيف

رد ونقد

خطأ أحد الباحثين استعمال « تعاهدنا على تحقيق أهدافنا » وأقول إن الاستعمال صحيح وإليك النصوص اللغوية :

جاء فى المصباح المنير : الغرض الهدف الذى يرى إليه ، وتقول غرضه كذا على التشبيه أى مرماه الذى يقصده اه

وجاء فى لسان العرب : الغرض هو الهدف الذى ينصب فيرى . . . وغرضه كذا أى حاجته وبغيته ، وفهمت غرضك أى قصدك اه

وجاء فى مستدرك شرح القاموس : ويقال : غرضه كذا أي حاجته وبغيته

قال شيخنا : قد كثر حتى تجوزوا به عن الفائدة المقصودة من الشىء وهو حقيقة عرفية بعد الشيوع لكونه مقصدا وقبل الشيوع استعارة أو مجاز مرسل اه

وجاء فى أساس البلاغة : ومن المجاز فلان هدف لهذا الأمر وغرض له اه

من هذا يتبين للقراء أنه لا فرق بين الهدف والغرض فى جميع المعانى الحقيقية والمجازية ، وأنت تقول : حققت غرضى أو مطلبى ، وتحققت أغراضنا أو مطالبنا ، وقد أجاز الكاتب الفاضل استعمال « تعاهدنا على تحقيق مطالبنا » فإذا كان هناك فرق بينهما فليبينه

وقد خطأ استعمال « يهدف إلى كذا » وأقول إنه أنه صحيح أيضا كأصله السابق لأن المعنى يتجه ويقصد ويدخل ويسرع إليه كما يتجه السهم أو القذوف إلى هدفه

وأرشدنا الأستاذ إلى الاستعمال الصحيح الوارد فى اللغة ؟ ! وهو (استهدفه) ولم أجد استهدفه متعديا فى جميع المراجع التى بين يدى . . .

علي حسن هلالي

(الرسالة) أقر المجمع اللغوى هذا الاستعمال

جناية الحزبية على الأدب

إن الحزبية البغيضة فى مصر شر كلها ، بل هى مزيج مركب من شرور لا حصر لها . وحسب مصر من شرورها أنها مزقت الوحدة ، وفرقت الكلمة ، وأصابت روابط الأخوة والمودة بالوهن ، وبذرت فى النفوس بذور الإحن والفرقة والبغضاء ، وفى الصدور بذور الحقد والعداوة والشحناء ، وغرست فى تربة مصر الأنانية الممتزجة بالجهل ، والهاترة المشوبة بالتهور

أما جناية الحزبية البغيضة على الأدب فهى أجل من أن توصف ؛ فالشباب هو التربة الصالحة للأدب والبيئة التى يجب أن تهيأ له ، ومن أين لمصر الشباب الذى يتجه فى حياته نحو الأدب ، والحزبية البغيضة المشوهة لم تدع له فرصة للاشتغال به ، ولسلوك نهجه ، وللاغتراف من منهله

وقد كان من الممكن للأدب أن يكسب أنصارا من طلبة الجامعات العلمية وهم أجدر بنصرته ، ولكن الحزبية البغيضة تسللت داخل أسوار الجامعة ولم تدع قليلا ولا كثيرا إلا ساقته فى موكبها ، وضمته إلى شيعتها ، اللهم إلا النادر الذى لا يعتد به ، والذى لا حكم له بجانب الكثرة الساحقة ، التى اتخذت من الحزبية البغيضة مهنة تمتهنها ، وحرفة تحترفها ، وأصبحت لا تقدم لمصر إلا الهاترة والمناوشة والثرثرة على ضوء التعصب للأحزاب والزعماء ، وعلى حساب مصر المنكوبة فى شبابها وهم عصبها وعدتها وأملها فى المستقبل القريب والبعيد

نعتقد أن حركة الجيش تعتبر نهاية للحزبية البغيضة القائمة على غير مبادئ أو أهداف ، والتى يجب أن تكون اليوم فى ساعات الاحتضار الأخيرة ، تلفظ أنفاسها غير مأسوف عليها ، والفرصة سانحة لأن يكفر شبابنا — ولا سيما طلبة الجامعات والمعاهد العلمية — بالحزبية البغيضة ، ويودعها بأقذع ما تستحقه من اللعنات ، ويقبل من الآن على الأدب ، وينضم إلى شيعته ، فما عاشت دولة بغير أدب ، وما وصلت دولة إلى نهاية المجد إلا بالأدب !

وها نحن أولاء فى الانتظار ..

نفيسة الشيخ

لقد زالت دولتهم

لو حاول الإنسان أن يحصى الأمثلة على جحود الإقطاعيين واستهتارهم لأعجزه الحصر .. وحسبنا أن نسوق اليوم قصة إقطاعى بلغ به الاستهتار حد الكفر — والعياذ بالله — وتلك نعمة التى تدفع صاحبها أحيانا إلى حد الجنون ، أو الكفر .. وكلاهما لا يرضاه إنسان لنفسه !

فقد سمعت أن إقطاعيا كان يدعو إليه فلاحا من فلاحيه ، ويأمره أن يدعو الله أن يهبه بقرة .. ثم يسأله الإقطاعى الأحمق فى تهكم :

هل وهبك الله البقرة ! ؟ إذن أنا أهبك البقرة .. فيدعوه الفلاح فيأمر له بالبقرة !

هذا منتهى الإجرام فى حق الخالق العظيم ، الذى بسط له فى الرزق ، إلى حد أنساه حق النعمة ، يذكرنا بما قاله « موسى عليه السلام » عن فرعون وقومه :

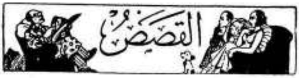
«ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم »

ويذكرنا بوصف القرآن الكريم :

« ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزى الظالمين »

وبعد .. لقد دالت دولة الإقطاع ، كما دالت من قبلها دول أقامت عروشها على الظلم والطغيان ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم ... وتلك قصورهم خاوية على عروشها .. ينعق على أطلالها البوم ... فاعتبروا يا أولى الأبصار

عيسى متولى



الكذبة

للقصصي الروسي بانتليمون رومانوف

كانت الغرفة مبعثرة الأثاث ؛ وكان هو جالسا إلى مكتب قد انتثرت عليه الصحف والكتب في غير نظام ولا ترتيب ، وكان ممسكا بيده غطاء محبرة قد كان رفعه عنها بحركة غير إرادية ، وبصره مثبت في نقطة أمامه يحدق فيها

وكان من عادته أن يجد صاحبته بانتظاره مشتاقة في صبر ، ولكنه لم يجدها على عادتها في الدار ... لقد قالت له فتاة الجيران إن « ماريا سيرجيفانا » خرجت بغير أن تترك وراءها خبرا

وكانت هذه هي المرة الأولى التي لم تنتظره فيها منذ أن تعارفا حتى اليوم. لقد كان أخبرها بالتلفون أنه ربما استطاع لقياها اليوم ساعة واحدة ، ولكنه استطاع أن يتحرر بتة طوال هذا المساء ، إذ كانت زوجه قد خرجت لزيارة بعض الأصدقاء.

ومضت الساعة الحادية عشرة وتلتها الثانية عشرة وهو مايزال منتظرا . وأخيرا أزفت الساعة الأولى ولما تأت ! وكان كلما طال انتظاره تشتد به الرغبة في اللقاء حتى تعود فيعرف أين كانت

وأخيرا وقبيل الساعة الثانية دق جرس الباب ففتح لها فطرق أذنيه وقع أقدامها ؛ وما هي إلا أن فتحت الباب ودخلت فلم يكن له متسع من وقت يصلح به هيئة وجهه للقياها

كان الثلج قد غطى كمي معطفها وكتفيه ، وكان خداها قد توردا من لفح الرياح المحملة بالثلج ، وعيناها السوداوان مشرقتين بوميض من الغضب والهياج . كان أول ما ابتدرته به من الكلام قولها :

— أهلا بك ، أنت هنا ؟

وكان في صوتها نغمة فرح ودهش يشبه التكلف . ثم استأنفت قائلة :

— ولكنك قلت إنك لن تستطيع المجيء !

وكانت تقول ذلك وهي تلقي على الغرفة نظرة فاحصة ، فأجابها :

— كلا ، لقد قلت إني ربما جئت ولكني لم أكن واثقا تماما من هذا . قال هذا وهو يعيد غطاء الدواة إليها ، ثم قام فمشى حتى جاء فوقف قبالة صاحبته

— إنك على حق ، غير أنك قلت إنك إن جئت فلن تظل أكثر من ساعة

— حسبت أن لقاء ساعة عندك تفضل الخروج مساء ... إلى حيث لا أدري

فأجابته بسرعة قائلة :

— « أوه ... إنما كنت ذهبت إلى الملهى » ، ونزعت قبعتها فنفضت الثلج الذي كان يغطيها على البساط . ثم إنها بدأت تزيل الثلج الذي كان قد تراكم على كمي معطفها في أناة ظاهرة واعتناء . فهز صاحبها كتفيه وبدأ يعينها على خلع ملابس الخروج التي كانت ارتدتها محتفظا بصمته ، ذلك الصمت الذي كثيرا ما يشاهد في مناظر الشجار والمنازعات ، ولم يخف ذلك منه على صاحبته ولكنها اعتصمت بالصمت العميق مثله ، غير أنها بعد أن ألقت عليه نظرة جانبية بدا لها أن تغير وضعها — فجأة — فقالت تكلمه في صوت لطيف :

— أجائز أنك لا تصدقني ؟ واقتربت من حبيبها بجو تشم فيه رائحة الهواء الطلق البليل الذي كانت فيه منذ برهة قصيرة ، فوضعت يديها — ولم يكن ليخفى عليه جمالها — على كتفيه ،

غير أنه أحس ثانية أن هذا التبدل السريع من وضعها الأول إلى هذا الوضع الأخير اللطيف مما تقسر عليه نفسها ، إنه متكلف أيضا ! ثم قالت له :

— وفي استطاعتي أن أعدد لك كل حركاتي هذا المساء : كان أحد أصدقائي ومعه خطيبته ينويان الذهاب إلى الملهى ، وكانت

عندها بطاقة دخول زائدة فاستدعياني معهما إلى الذهاب ففعلت ، وذلك كل شيء ثم

— فجيئك من الملهى إذا في هذه الساعة ؟

— نعم

ثم رفعت يديها عن كتفيه — وما كان قد مسها — وذهبت إلى مرآة الصوان كأنها تريد أن تصلح شعرها ، ولكن عينيها عادتا إلى ما كانتا عليه من النظر إلى الغرفة نظرة مجلي فمل العائد إلى داره يجد فيه شيئا غير منتظر ليطمئن على أنه ليس في السكان بعض ما لا يجب أن تقع عليه عين ضيفه من أشياء ؛

وكان هو يلحظها أثناء ذلك من طرف خفي ويتتبعها في كل ما تصنع ، أما هي فكانت تخفي شعورها بمراقبته هذه وتدقيقه وتتظاهر بهيئة من ناله تعب أو مسه جهد ، بينما كانت تمشط شعرها وتعيده إلى نظامه أمام المرآة

... لقد بدا له من الغريب أن تكون لشخص تصحبه إلى الملهى خطيبته بطاقة دخول زائدة !

... قالت : « وقد خاب ارتقابي مقدمك عند المساء تماما » ، ثم جلست على كرسي كبير بقرب المكتب قبالة صاحبها واسترسلت قائلة :

« ... فوقعت بعض أخطاء أخرت الرواية عن موعد بدئها ، فضاق المتفرجون بذلك ذرعا وعلت أصواتهم وسمع تصفيقهم ... ألم تر هذه الرواية من قبل ؟ »

ومع أن الرجل كان مازال واقفا في مكانه ، وعلى وجهه سيماء من يستمع إلى كذبة مدبرة حازمة صادرة من شخص كانت له بصحة ما يقول ثقة قوية — منذ قليل من الزمان فقط — مع هذا ، فإنها استمرت تتم حديثها وكأنها غير شاعرة بحالته الغريبة التي كان فيها

قالت : « وكانت الرواية غاية في السخف ، مملة ، بينة التكلف والتصنع ؛ وكان الممثلون يقومون بأدوارهم وما في نفوسهم شوق إليها ، وكان أحسن ما هنالك فتاة ممثلة جودت في دور لها متوسط »

وهنالك أدار صاحبها عينيه نحوها وقال لها :

— إنه ليس ثمة سبب يدعوني إلى الشك في أمر ذهابك إلى الملهى

فردت عليه قائلة : « عزيزي ، إن شئت أريتك البطاقة » ، وفتحت حقيبة يدها وأخرجت له البطاقة بدون بحث ولا عناء ، بل كان في حركتها أثر الاطمئنان . فأخذ الورقة المطوية منها بحركة آلية ثم أردف قائلا :

— إني لا أدري ما هذا الذي حدث بالضبط ولكني لحظت من زمن يسير أن علاقاتنا قد طرأت عليها شائبة من الخداع

— وماذا تعني بالخداع ؟

وكانت جالسة على كرسيها . فرفعت مرفقيها علامة السؤال والاستغراب

فأجابها : « لا أدري تماما ولكن هنالك شيئا مما أقول . على أني أطلب منك شيئاً واحداً ، ذلك ألا تضطري الواحد منا إلى الكذب على الآخر . لقد كان بيننا عاطفة ود قوية ، وفي أمثال هذه المواطن التي بيننا لا يستحسن الكذب أبدا . فلا تحدثيني الليلة بشيء ، ودعي ذلك إلى الغد . خابريني بالتلفون وإذ ذاك تستطيعين التحدث بكل شيء . إن كلا منا حر مطلق التصرف في نفسه ، فإن لم يبق بيننا « حب » فلا حرج ولا بأس .. لنفترق

ثم وضع قبعته على رأسه مهتاجاً وارتدى (سترته) وخرج دون أن يودعها

.. كان يسير إلى داره مستعيدا في ذهنه حركاتها وصوتها فبدا له كل ذلك صورة من مكر وخداع بغيضة ! لقد كانت تحدثه عن الملهى حديث الضيف إلى زائر طرقه ، وذلك فعل المرأة حين تريد كذبا ، وكانت تتحدث عن الملهى حديثا عاما مبهما بالطريقة التي يتكلم بها المرء عن حوادث قدم عليها العهد ، وكان عليها — إلى هذا — أن تبتدع كذبة تأخير الرواية ساعة عن ميعادها المعين لتبرر تأخرها عن موعد انتهاء أوقات الملاهي عادة !

أما البطاقة .. فمن يدرى ؟ لعلها ابتاعتها .. وهى تستطيع ذلك . بل ربما دخلت الملهى حقا وشاهدت الفصل الأول .. ثم .. ؟

غير أن فكرة — آخر الأمر — اعترضته فوقف تحت مصباح الشارع وأخرج من جيبه البطاقة التى كان قد وضعها فى جيبه بغير شعور منه

فلما أن فتح البطاقة الصغيرة الخضراء ليتبين التاريخ عليها وجد أنها قديمة ، مؤرخة بتاريخ أول الشهر ، وهم اليوم فى الثامن عشر منه ! فيالها من كذبة دنيئة !

كان أول ما دار بخلده أن يمزق قطعة الورق البغيضة تلك.. غير أنه أعادها إلى جيبه ثانية لسبب خاص ..

إنها حقا كذبة إنسان صفيق الوجه ! فيالها من زلة ! إنها كفيلة بأن تخجل الإنسان من نفسه ..

ولما وصل إلى بيته لم يجد فى شبابيك طابقه أنوارا ! كان زوجه لما تعد ، وكان ذلك له خيراً ، فمن استطاعته أن يزعم — الآن — لها أنه كان فى الدار طوال المساء فقضاها أمسية وحيدة على مضض منه .. غير أن ضوءاً بدا فى غرفة النوم — بغتة — لقد سبقته زوجه إلى الدار ! منذ خمس دقائق فقط !

فصعد إلى الطابق السادس بسكون مفكرا فيما عسى أن ينتحل من الأعذار ؛ ثم تسلل إلى الردهة فى ارتقاب وحذر فى حين أن زوجته كانت خارجة من غرفة النوم مسرعة وهى تشد وسطها بحزام فستانها البيتى ، فلما وقع نظرها عليه ابتدرته سائلة فى استغراب :

— ماذا حصل أيها العزيز فأخرك ؟ لقد ظللت فى الدار طول المساء هذا ، ذهبت إلى بعض الجيران ، وكان عندهم أقاربهم فلبثت عندهم ساعة ثم عدت وفى أملى أن أقضى هذا المساء معك

فأجابها :

— غير أنى كنت أحسب أنك ستكونين خارج البيت الليلة ، وذلك الذى دعانى إلى الذهاب إلى الملهى ! فإن ذلك ولا شك خير من بقائى فى الدار وحدى !

— ولكن لماذا أراك متأخرا للآن ؟

— أوه .. إنك تعرفين كيف يسير هؤلاء فى أعمالهم .. لقد وقعت بعض أخطاء أخرت الرواية عن موعد بدئها ساعة ، فضاق المتفرجون بذلك ذرعا ، وعلت أصواتهم وسمع تصفيقهم !

ثم أخرج تلك الورقة المطوية وألقاها على الطاولة بحركة تدل على تعبه ، ثم استطرد قائلا :

« وكانت الرواية غاية فى السخف ، مملة ، بينة التكلف والتصنع فى كل شئ من مظاهرها . وخير ما كان فى الرواية كلها فتاة ممثلة أجادت فى دور لها متوسط ، ولو دريت أنك ستكونين فى الدار الليلة ، إذا لتركت الرواية بعد فصلها الأول !

ف . س

مطبعة الرسالة